
مبادئ
المعارف
الاجتماعية السياسية
ما هي
الثورة؟
سيرتسوفا، شيشكينا، ياكوفليفا

إهـــــــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / يوسف درويش

القاهرة

مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية

سيرتسوفا، شيشكينا، ياكوفليفا

ما هي الثورة؟

ABC социально-политических знаний

А. Серцова, В. Шишкина, Л. Яковлева
ЧТО ТАКОЕ РЕВОЛЮЦИЯ?

На арабском языке

طبع في الاتحاد السوفييتي

C $\frac{0302030102-426}{014(01)-88}$ 222-88

ISBN 5-01-000725-8

المقدمة

تمثل الثورة الاجتماعية واحدة من اهم قضايا الفكر الاجتماعى المعاصر ، ذلك اننا نعيش فى عصر الانجازات التاريخية الكبيرة والتحولات الثورية الجذرية .

ان العصر الحاضر هو عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية ، والمباراة التاريخية بين المنظومتين الاجتماعيتين السياسيتين العالميتين ، والثورات الاشتراكية والتحررية الوطنية ، وانهيار النظام الاستعمارى ، وعصر نضال القوى المحركة الرئيسية للتطور الاجتماعى (الاشتراكية العالمية والحركة العمالية والشيوعية وشعوب البلدان المتحررة والحركات

الديمقراطية الجماهيرية) ضد الامبريالية ، عدوانها وظلمها ، ومن اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

وان عملية التحوير الثوري قد صارت عملية عالمية حقا . فلا يمر عام الا وتشهد هذه البقعة او تلك من الكرة الارضية تبدلات ثورية .

وقد دحضت الحياة حسابات الايديولوجيين البرجوازيين وتطلعاتهم الى فتور الصراع الطبقي في العالم الرأسمالي . ومنيت بالفشل العديد من النظريات الرائجة حول تحديث وتحوير الرأسمالية المعاصرة ، والتي يرى انصارها ان من شأن الثورة العلمية التكنيكية ان تلغي الصراع الطبقي وان تجعل الثورة الاشتراكية امرا لا لزوم له .

فان الظواهر الازماتية ، التي لا تعرف مثيلا لها من حيث قوتها وحدتها ، تعصف بكافة ميادين المجتمع البرجوازي المعاصر — الاقتصاد والسياسة والايديولوجيا . فالتضخم النقدي الجامح وارتفاع الاسعار الشامل ، والهزات المالية وازمة الطاقة ، وانخفاض معدلات الانتاج ، ونمو البطالة ، واستخدام البيئة الطبيعية على نحو وحشي

وتلوثها الخطر على الحياة ، وتأزم الديمقراطية البرجوازية والثقافة البرجوازية ، تستدعى موجة ضخمة جديدة من المعارك الطبقية . وترد الجماهير على المثالب الاجتماعية للرأسمالية بالنضال القوى المعادى للاحتكارات ، وتتصدى لتهديد الامبريالية للسلام بتنشيط الحركة المناوئة للحرب ، والتى بلغت فى الثمانينات نطاقا منقطع النظير .

ولا يتورع دعاة العداء للشيوعية عن ان يصوروا التبدلات الثورية كلها امورا من صنع «يد موسكو» ومن مكائد «الشيوعية العالمية» . وهم يزعمون ان كل ما جرى فى العالم خلال نصف القرن المنصرم من تحولات ثورية انما نجم عن هذا السبب بالذات . ويشوه هؤلاء جوهر العملية التاريخية فى محاولة لتصوير الثورات الاجتماعية ظواهر عارضة ، لا تنبع من تطور المجتمع .

اما فى الحقيقة فتعود ضرورة الثورات الاجتماعية الى فعل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى . فأساس الثورات المعاصرة هو التناقضات الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للعالم الرأسمالى

ذاته . وبهذا الصدد كان يقول لينين : «ان الثورات لا تتم وفقا لتوصية ، ولا تحضر لهذه المناسبة او تلك ، وانما تنضج فى مجرى التطور التاريخى ، وتندلع فى لحظة مشروطة بجملة كاملة من الاسباب الداخلية والخارجية» * .

ثم ان الثورات «تنشأ عندما يتوصل عشرات الملايين من الناس الى الاستنتاج بانه لم يعد بالامكان العيش على النحو القائم» ** . ولهذا السبب بالذات يكون من غير الممكن ومن العبث التحدث عن «تصدير الثورة» . فان شعب كل بلد هو صاحب الحق فى خوض النضال من اجل تحرره الاجتماعى والوطنى .

وتمارس نظرية الشيوعيين الثورية ، النظرية الماركسية اللينينية ، تأثيرا متزايدا على الاحداث التاريخية التى تجرى فى العالم اليوم . وتشكل نظرية الثورة الاجتماعية جزءا هاما من العلم الماركسى .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة (الطبعة الروسية ، من هنا وصاعدا) ، المجلد ٣٦ ، ص ٥٣١ .

** المصدر السابق ، ص ٤٥٧ .

وقد ارسى كارل ماركس وفريدريك انجلس اسس هذه النظرية . فمنذ اواسط القرن التاسع عشر ، وعلى الرغم من المحدودية النسبية للخبرة الثورية ، امكن لهما وضع اسس نظرية الثورة الاشتراكية ، وطرح اهم مسائل الانتقال الى الاشتراكية ، هذه المسائل التى لا تزال تحتفظ بالاهمية النظرية والعملية حتى اليوم .

وبالاتفاق مع الظروف التاريخية المستجدة وخبرة الجماهير الثورية قام لينين بتعميق وتطوير كافة الموضوعات الهامة فى نظرية الثورة ، واغناها باستنتاجات واكتشافات جديدة ، وبيّن ازدياد واتساع الامكانيات والآفاق الثورية . وقد جاءت كل تجربة الحركة الثورية المعاصرة لتؤكد صحة النظرية الماركسية اللينينية فى الثورة ، ولتبين توافقها مع متطلبات التحوير الجذرى للعالم . ثم ان هذه النظرية سلاح مجرب فى النضال من اجل حل المهام الثورية المنتصبة امام البشرية .

ولكن هناك اليوم ظواهر وعمليات اجتماعية ، لم تكن موجودة ، ولم يكن لها ان توجد ، فى اثناء حياة ماركس ولينين . وتقدم خبرة

الحركة الثورية فى كل بلد مادة ثمينة من اجل التطوير الخلاق للنظرية الثورية . ولذا فان هذه النظرية تتطور مع تطور العالم الموضوعى .

وعلى اساس تعميم الخبرة الغنية للتحولات الثورية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وكذلك خبرة الحركة التحريرية المعاصرة يقوم الحزب الشيوعى السوفييتى بالتطوير الخلاق لنظرية الثورة الاشتراكية ، وللماركسية اللينينية ككل . كما وتساهم بقسط جليل فى اغناء النظرية الماركسية اللينينية حول الثورة الاشتراكية كافة الاحزاب الشيوعية والعمالية ، والفكر الجماعى للحركة الشيوعية العالمية .

وهذا الكتاب ، الذى نضعه بين يدى القارئ ، يعرض اسس النظرية الماركسية اللينينية فى الثورة الاجتماعية . ما هى الثورة ؟ ولماذا تكون الثورات قانونية وحتمية فى التطور الاجتماعى ؟ وما هو الدور الذى تلعبه فى العملية التاريخية ؟ وكيف تتم وما هى الاشكال الملموسة التى تتخذها ؟ وما هى انماط الثورات المميزة للعصر الراهن ؟ على هذه الاسئلة وغيرها يجيب كتابنا

هذا . ويعنى الكتاب بتحليل الثورة الاشتراكية ، نظرية وممارسة . وثمة فصل خاص ، مكرس لدراسة الثورات الديمقراطية الشعبية المعـــادية للامبريالية وثورات التحرر الوطنى . فدور هذه الثورات فى العصر الحاضر هام للغاية .

والكتاب موجه للجمهور الواسع من القراء الذين يهتمون بمشكلات التطور الاجتماعى وآفاقه .

الفصل الاول

النظرية الماركسية اللينينية في الثورة الاجتماعية

ان الحياة الاجتماعية ، مثلها مثل العالم الموضوعي كله ، توجد في حالة تغير وتطور . ويتم التطور في صيغتين : في صورة تغيرات تدريجية او في صورة طفرات . وان التغيرات التدريجية ، المتواصلة ، لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية في اطار منظومة متكاملة تسمى ارتقاء (Evolution) . ويعتبر الماركسيون الارتقاء صيغة هامـــة للتطور الاجتماعي . ففي المؤلف الفذ «رأس المال» يعني كارل ماركس بتحليل ارتقاء اشكال الانتاج الرأسمالي ، من التعاون البسيط الى المانيفاكتورة ، ومن

ثم الى الانتاج الآلى الضخم . كما ويولى اهتماما كبيرا لبحث العمليات الارتقائية فـي علاقات المجتمع الرأسمالى الاجتماعية الطبقية والسياسية والحقوقية والاخلاقية .

ولكن الارتقاء الاجتماعي فى المجتمع التناحرى (كما سنرى ادناه) لا بد وان يصطدم ، عاجلا او آجلا ، بعوائق ، يتعذر تذليلها الا فى مجرى الثورة الاجتماعية . والثورات الاجتماعية هى اعقد فترات التطور الاجتماعى . وقد قال لينين «ان الثورة علم حكيم ، صعب ومعقد» * .

ان **الثورة الاجتماعية** هى ما تقوم به القوى التقدمية من انتقال بالمجتمع الى درجة نوعية جديدة ، ارفع ، على سلم التطور الاجتماعى ، ومن سير من النظام الاجتماعى البالى الى نظام جديد ، اكثر تقدما .

وتنظر الماركسية اللينينية الى العملية التاريخية على انها تبدل متعاقب لتشكيلات اقتصادية اجتماعية . ويعود الى ماركس الفضل فى وضع نظـــرية

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١١٩ .

التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية . فقد رأى انه فى كل حقبة تاريخية تترابط كافة ظواهر الحياة الاجتماعية فى منظومة متكاملة . وتبين له ان المجتمع يشهد تغيرات نوعية عميقة فى مجرى تطوره . ومن هنا راح يبرز فى تطور المجتمع مراحل تاريخية ، تتميز بجملة نوعية من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية ، وبقانونيات معينة خاصة . وقد سمى ماركس هذه المراحل تشكيلات اقتصادية اجتماعية . فالتشكيلة الاقتصادية الاجتماعية ، عند ماركس ، هى المجتمع «**فى مرحلة معينة من التطور التاريخى** ، المجتمع ذو الطابع المتميز الخاص» * .

وقد عرف التاريخ خمس تشكيلات اقتصادية اجتماعية ، تلت احداها الاخرى : المشاعية البدائية ، والعبودية ، والاقطاعية ، والرأسمالية ، والشيوعية . ويتم الانتقال من تشكيلة الى اخرى عبر الثورة الاجتماعية . «فالثورة تحول يحطم

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات (الطبعة الروسية) ، المجلد ٦ ، ص ٤٤٢ .

القديم من اساسه وجذوره»* .

وتعنى الثورة قفزة فى تطور المجتمع ، وتحولا للتغيرات الكمية الى تغيرات نوعية . وقد اشار لينين ، فى معرض الحديث عن السمة العامة للتطور الثورى ، الى انه «تطور يتم على شكل طفرة ، كارثة ، ثورة» ؛ — «قطع التواصل» ؛ «تحول الكم الى كيف»** .

ان الارتقاء الاجتماعى والثورة الاجتماعية يكملان احدهما الآخر ، ويشكلان صيغتين مترابطتين للعملية التاريخية . فالتغيرات الكمية التدريجية والتبدلات النوعية الصغيرة فى النظام الاجتماعى تحضر لتحويره النوعى الجذرى ، فالارتقاء الاجتماعى يقود الى الثورة الاجتماعية . اما الثورة الاجتماعية فترتفع بالعملية التاريخية الى مستوى جديد ، وتوفر امكانيات جديدة للتطور الارتقائى اللاحق .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٢٢٢ .

** المصدر السابق ، المجلد ٢٦ ، ص ٥٥ .

١ — الاساس الاقتصادى للثورة الاجتماعية

ان الثورات الاجتماعية تضرب جذورها العميقة فى تطور الانتاج المادى . ولم يعد بالامكان الكشف عن جذورها هذه الا بعد ظهور الفهم المادى للتاريخ . وكان وضع الفهم المادى للتاريخ مأثرة من مآثر ماركس وانجلس . فقد كانا اول من برهن على ان الجانب المادى من الحياة الاجتماعية (الوجود الاجتماعى) هو العامل الاساسى والمحدد : فان الوجود الاجتماعى يحدد الوعى الاجتماعى . اما وجود الناس الاجتماعى فهو ، قبل كل شيء ، انتاج الخيرات المادية ، والعلاقات الاجتماعية المادية التى تتشكل بين الناس فى مجرى الانتاج .

وقد انطلق ماركس وانجلس فى نظريتهما من واقعة بسيطة ومفهومة للجميع ، هى ان الناس يترتب عليهم ، قبل الشروع بالاشتغال بالسياسة والفن وما اليهما ، ان يؤمنوا الملبس والمسكن ، ان يلبوا حاجاتهم المادية الملحة . ولا يمكن تحصيل اسباب المعاش الا بفضل

عملية الانتاج المادى . فبتوقف الانتاج يهلك الناس جوعا ، او يتحتم عليهم جمع الثمار الجاهزة فى الطبيعة بهدف الحفاظ على بقائهم . ولذا يشكل الانتاج المتواصل للخيرات المادية شرطا ضروريا لوجود المجتمع وتطوره .

وفى عملية الانتاج يستخدم الناس ادوات عمل شتى ، مثل المحراث والمكنة والآلة ، وطاقة المياه والريح والبخار والكهرباء والذرة ، ويستخدمون شتى المواد ، كالخشب والحجر والمعدن والبلاستيك والخ . وكل ما يستخدمه الناس فى انتاج الخيرات المادية : ادوات العمل (الآلات والمعدات) والوسائل المساعدة (المبانى الانتاجية والطرق والقنوات والطاقة والوقود والمواد الكيميائية) ومواضيع العمل (الخامات المعدنية والاخشاب والبلاستيك) ، تشكل وسائل الانتاج .

ولكنه ليس بوسع اية آلة ، ولا اية طاقة ، ان تخدم المجتمع بحد ذاتها . فهى تستخدم بواسطة نشاط البشر العملى . وان وسائل العمل ، والناس الذين يشغّلونها بفضل مهاراتهم الانتاجية وجرأتهم ومعارفهم ، تشكل القوى المنتجة فى المجتمع .

وفي مجرى الانتاج يدخل الناس حتما ، بغض النظر عن ارادتهم ، في علاقات معينة فيما بينهم ، في «العلاقات الانتاجية» (او «علاقات الانتاج») .

ان القوى المنتجة تعبر عن علاقة الناس بالطبيعة ، وتبين بوساطة اية وسائل انتاج يحصّل الانسان الخيرات المادية الضرورية لحياته . اما العلاقات الانتاجية فتعبر ، في المقام الاول ، عن علاقات الملكية ، فهي تبين بيد من تتركز وسائل الانتاج الاساسية ، وما هي علاقة الناس بعضهم ببعض في مجرى الانتاج ، وكيف يتقاسمون منتجات العمل .

وتشكل القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية في وحدتها هذا او ذاك من اساليب تحصيل اسباب الحياة ، اى اسلوب انتاج الخيرات المادية .

وقد اكتشف ماركس وانجلس قانون الدور الحاسم لاسلوب انتاج الخيرات المادية في حياة المجتمع . ففي كل عصر تاريخي تكون الاشكال القائمة من الحياة الاجتماعية ، وحتى

طريقة تفكير الناس نفسه ، رهنا باسلوب الانتاج في نهاية المطاف . فمع تغير اسلوب انتاج الخيرات المادية تتغير حياة المجتمع كلها . ولذا فان تاريخ المجتمع هو ، قبل كل شيء ، تاريخ تبدل اساليب الانتاج . اما الاسباب الجذرية لما يجرى فى المجتمع من تبدلات (والثورات ، كما نعرف ، تمثل تحولات نوعية عميقة فى الحياة الاجتماعية) ، فينبغى البحث عنها فى تغيرات اساليب الانتاج .

ولكن كيف يجرى تطور الانتاج نفسه ، كيف يتم تبدل اساليب انتاج الخيرات المادية ؟

ان مصادر تطور الانتاج ليست قائمة خارجه ، وانما توجد فيه نفسه . فبين جانبي اسلوب الانتاج — بين القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية — ثمة ترابط طبيعي وقانوني . والجانب الحاسم فى وحدتهما هو القوى المنتجة . ويعنى هذا ان هذه او تلك من العلاقات الانتاجية بين الناس لا تتشكل على نحو اعتباطى ، ولا بناء على رغبة هذه الطرف او ذاك ، وانما تتوقف على طابع ومستوى تطور القوى المنتجة .

ولكن وحدة القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية ، وهى الوحدة التى تنعكس فى اسلوب الانتاج ، لا تستثنى قيام تناقض بينهما . اما السبب فى ظهور مثل هذا التناقض فيعود الى ان القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية تتطوران على نحو مختلف . فالانتاج لا يراوح فى مكانه . انه ينمو باستمرار ، ويتحسن دوما . وهنا تكون القوى المنتجة العنصر الاكثر حركية . فالناس يسعون الى التخفيف من صعوبة العمل ، والى انتاج كمية اكبر ، فيعملون على تحسين ادوات العمل ، ويكدسون الخبرة الانتاجية والمعارف الضرورية . وحتى فى اطار اسلوب الانتاج الواحد يمكن لهذه التغيرات ان تكون ملحوظة للغاية .

اما العلاقات الانتاجية فتكون اكثر ثباتا واستقرارا ومحافظة . صحيح انها تتعرض لتغييرات معينة ، ولكن جوهرها لا يتغير فى اطار اسلوب الانتاج المعنى . ففى عهد الرأسمالية نمت القوى المنتجة الى حد كبير . اما العلاقات الانتاجية الرأسمالية فظلت تقوم على الملكية البرجوازية لوسائل الانتاج ، وعلى استغلال الرأسماليين

للكادحين . ويبذل الرأسماليون قصارى جهدهم للابقاء على العلاقات الانتاجية هذه .

وهكذا تظهر التناقضات بين القوى المنتجة الجديدة والعلاقات الانتاجية المتخلفة فى تطورها . وتحتدم هذه التناقضات لتصل الى حد النزاع . ويغدو استبدال العلاقات الانتاجية القديمة بعلاقات جديدة مطلبا ملحا للتطور الاجتماعى . وعاجلا ام آجلا ينحل النزاع بالاسلوب الممكن الوحيد — بالتصفية الثورية للعلاقات الاجتماعية القديمة ، واستبدالها بعلاقات جديدة .

وفى معرض الحديث عن اسباب الثورة الاجتماعية نوه ماركس ، فى مقدمته لـ«مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى» ، بانه فى مرحلة معينة من تطور المجتمع تدخل القوى المنتجة فى تناقض مع العلاقات الانتاجية ، التى كانت حتى ذلك الحين تتطور فى اطازها . وتتحول هذه العلاقات المتخلفة من صيغة لتطور القوى المنتجة الى اصفاد لها . وعندئذ يحل عصر الثورة الاجتماعية .

وعليه ، **فان النزاع بين القوى المنتجة**

الجديدة وبين العلاقات الانتاجية القديمة يشكل الاساس الاقتصادى الموضوعى للثورة الاجتماعية .

ولكن تصفية العلاقات الانتاجية البالية ، واستبدالها بعلاقات جديدة ، لا يجريان على نحو اوتوماتيكى ، لا يتمان تلقائيا ، وانما عبر صراع الطبقات ، الذى تأتى الثورة الاجتماعية بمثابة ارفع شكل لتجليه . «فيسمى بالثورة نضال الطبقات المستقتل ، الذى يبلغ اقصى درجة من الحدة» * .

فى مجرى الثورة الاجتماعية يتم ، كقاعدة عامة ، تصادم طبقتين متعارضتين . فتكون احداهما رجعية — الطبقة المتوارية ، التى تبذل كل جهدها للابقاء على سيطرتها وللمحافظة على العلاقات الانتاجية القديمة . وتكون الطبقة الاخرى تقدمية ، لها المستقبل . وكان لينين يرى انه بدون مفهوم الطبقة ، بدون مفهوم المجتمع الطبقى ، يظل مفهوم الثورة الاجتماعية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٣٦٦ .

بعيدا عن الدقة الكاملة . «فكل انقلاب سياسى ، اذا لم يكن مجرد تبديل للزمرة الحاكمة بالاخرى ، هو ثورة اجتماعية ، اما القضية فتنحصر فى مسألة **ما هى الطبقة القائمة وراءها** ؟» * .

٢ ــ المسألة الاساسية للثورة الاجتماعية

ان الثورة الاجتماعية تحل جملة من القضايا المتعلقة بالتحوير الجذرى للمجتمع . وهى تهدم القديم وتبنى الجديد . ومن بين كافة المسائل التى يترتب على الثورة حلها **تشكل مسألة انتقال السلطة الى ايدى الطبقة الثورية المسألة الاولى والاهم** . «فان سلطة الدولة هى المسألة الرئيسية الاولى فى اية ثورة» ** .

فلماذا تولى الماركسية مسألة السلطة كل هذه الاهمية ؟ اولا ، يعود هذا الى جوهر واهمية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ١٢٠ .

** المصدر السابق ، المجلد ٣٤ ، ص ٢٠٠ .

الدولة كأداة خاصة ، اقامتها الطبقة السائدة وتستخدمها من اجل ضمان سيطرتها والحفاظ على النظام الاقتصادى الاجتماعى القائم .

ثانيا ، ترتبط اهمية مسألة السلطة فى الثورة الاجتماعية بجوهر هذه الثورة ومهامها . فلحل المهام المطروحة يترتب على الثورة تذليل مقاومة قوى المجتمع الرجعية المنظمة بالدولة ، وترسيخ دولة القوى الاجتماعية الثورية .

فتبين الخبرة التاريخية ان البرجوازية ، التى ركزت فى ايديها الفبارك والمصانع ، التجارة والمالية — كافة المواقع الاساسية فى الاقتصاد ، وتمتلك سلطة الدولة ، بما فى ذلك جهاز القمع (الجيش والبوليس والسجون) ، تصارع ، وبكل عناد وحدة ، من اجل الابقاء على المجتمع الرأسمالى البالى . وللقيام بالتحولات الاشتراكية ينبغى على الطبقة العاملة فى مجرى النضال الثورى ان تقيم دكتاتوريتها ، اى سلطتها المرتكزة الى قوى الجماهير الواسعة من الكادحين . وتنتصب امام هذه السلطة مهمة حماية مكتسبات الطبقة العاملة من الاعداء الداخليين والخارجيين

على السواء ، وتصفية انقسام المجتمع الـى مضطهِدين ومضطهَدين ، وتوفير الظروف التى تستبعد امكانية استغلال الانسان للانسان . وتستخدم الطبقة العاملة سلطتها من اجل التوطيد الشامل والتوسيع المطرد لتحالفها مع الجماهير الكادحة ، وتوجه نشاط المجتمع كله نحـو الهدف الواحد المشترك ـــ نحو بناء الاشتراكية .

وهنا تبرز اهمية الفهم الصحيح للعلاقة بين **«الثورة الاجتماعية»** و**«الثورة السياسية»** ، فهاتان الظاهرتان غير متطابقتين . فالثورة السياسية تمثل استلام السلطة من قبل الطبقة التقدمية . وهى تسمى ايضا «الثورة الاجتماعية» بالمعنى الضيق للكلمة ، لانها لا تحل مسائل التحوير الثورى للمجتمع كلها ، وانما تحل بعـــض مسائله المتعلقة بانتقال السلطة الى ايدى القوى التقدمية . وتشكل الثورة السياسية اداة هامة وشرطا ضروريا للتحوير الجذرى لكافة جوانب الحياة الاجتماعية .

ولكن الثورة الاجتماعية لا تنتهى بانتقال السلطة الى ايدى الطبقة الجديدة (اى لا تنحصر

فى الثورة السياسية) . فبعدها تأتى مرحلة ، جديدة الى هذا الحد او ذاك ، من التحوير الثورى لكافة ميادين الحياة الاجتماعية ، وتبرز الى الواجهة المهام البناءة للثورة . وفى ذلك يقول ماركس : «ان الثورة ، كل ثورة ، تهدم **المجتمع القديم** ، وبذلك تكون ذات طابع **اجتماعى** . وان الثورة ، كل ثورة ، تطيح **بالسلطة القديمة** ، وبذلك تكون ذات طابع **سياسى**» * .

ثم ان انتقال السلطة الى ايدى الطبقة الثورية يشكل ايضا السمة المميزة الرئيسية للثورة . «فانتقال السلطة الحكومية من ايدى **طبقة** الى ايدى **طبقة** اخرى هو مؤشر **الثورة** الاول ، الرئيسى ، الاساسى ، سواء بالمعنى العلمى الدقيق لهذا المفهوم ، او بمعناه العملى السياسى» ** .

وبذلك تتميز الثورة ، قبل كل شيء ، عن مختلف ضروب الانقلابات الفوقية ، التى لا

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١ ، ص ٤٤٨ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١ ، ص ١٣٣ .

تمس اسس سيطرة هذه الطبقة او تلك ، وانما تقتصر على استبدال بعض الجماعات او الاشخاص المستلمين لزمام السلطة .

ولا يمكن اطلاق نعت «الثورة» على اى انتقال للسلطة من طبقة الى اخرى . فاذا جاءت الى السلطة من جديد طبقة بائدة العهد ، امكنها استعادة سيطرتها لحين من الزمن ، فان هذا لا يكون ثورة ، بل يكون «ثورة مضادة» او عودة الى الانظمة القديمة .

كما وينبغي التمييز بين الثورة والاصلاحات . فالاصلاحات ، هى الاخرى ، تستخدم لحل التناقضات الاجتماعية . ولكن جوهر الاصلاح يقوم فى انه ، حتى اذا كان احيانا يمثل تحويرا اجتماعيا عميقا ، يبقى ، مع ذلك ، على السلطة بيد الطبقة القديمة .

والماركسيون لا يعارضون الاصلاحات فى المجتمع البرجوازى ، اذا كانت تساعد فى تحسين وضع الكادحين ، وفى ايقاظ وعيهم الثورى .

ولكن الماركسيين يتميزون عن الاصلاحيين ،

الذين يعتبرون الاصلاحات هدفا بحد ذاته ، ولا يرمون الا الى تحسين شروط بيع الكادحين لقوة عملهم ، بانهم يرون فيها اداة تقرب من الثورة .

٣ ــ الحالة الثورية . قانون الثورة الاساسى

ان النزاع بين القوى الانتاجية الجديدة وبين العلاقات الانتاجية العتيقة امر ضرورى للقيام بالثورة ، ولكنه غير كاف (مما يتجلى واضحا فى ضوء تحليل المرحلة المعاصرة من العملية الثورية العالمية) .

فلا يمكن للثورة ان تنتصر الا عندما تتوفر الظروف الموضوعية والعوامل الذاتية الضرورية لها .

وفى عداد **الظروف الموضوعية للثورة** تندرج المقدمات الاقتصادية والاجتماعية السياسية ، التى تتشكل بغض النظر عن ارادة الناس ، وعن رغبة الاحزاب السياسية . وان جملة الظروف الموضوعية ، التى يمكن للثورة ان تقوم فيها ، تنعكس فى مفهوم **الحالة الثورية** . وقد عالج

لينين نظرية الحالة الثورية فى كثير من مؤلفاته ، ولا سيما فى مقالة «افلاس الاممية الثانية» .

وينطوى مفهوم «الحالة الثورية» على مؤشرات اساسية ثلاثة :

اولا ، ازمة الاوساط الحاكمة ، ازمة سياسة الطبقة السائدة ، التى لا تستطيع الابقاء على سيطرتها بالطرق القديمة ؛

ثانيا ، تفاقم غير مألوف لبؤس الطبقات المضطهَدة وويلاتها ؛

ثالثا ، ازدياد حاد لفعالية الجماهير التى لا ترغب فى الاستسلام للاسترقاق الاجتماعى وللظلم السياسى .

وهذه الموضوعات اللينينية تحتفظ بأهميتها اليوم ايضا . فمن حين الى آخر يتشكل فى بعض البلدان الرأسمالية وضع قريب من الحالة الثورية . ولكن هذا الوضع يختلف ، فى جوانب كثيرة ، عن تجلى الحالة الثورية فى روسيا فى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٧ ، مثلا .

ويدخل العصر الراهن الكثير من الامور المستجدة على عملية نضوج الحالة الثورية . فتتأثر هذه

العملية ، والى حد كبير ، بالتغير العام لموازين القوى لصالح الاشتراكية ، وبضعف الرأسمالية العالمية ، وانهيار منظومتها الاستعمارية . وفى الماضى كانت الحالة الثورية ترتبط ، كقاعدة عامة ، بالازمة الاقتصادية الصعبة ، وبالحروب والجوع . اما اليوم فتغدو امكانيات قيامها أكثر فاكثر تنوعا . فقد تستدعيها عوامل جد مختلفة : سواء الهزات الاقتصادية ، او افلاس سياسة الحكومة (كفشل المغامرات الحربية ، مثلا) ، او النزاعات القومية والعرقية التى تؤدى الى احتدام التناقضات الاجتماعية ، وغيرها .

ان بؤس الجماهير وويلاتها (التى يشكل احتدامها مؤشرا للحالة الثورية) مفهوم تاريخى ملموس . فبالنسبة للكثير من البلدان النامية اليوم يتجلى ذلك فى الفقر المدقع . اما بالنسبة للبلدان الرأسمالية المتطورة فانه يتمثل فى احتدام الخلل القائم بين امكانية تلبية المتطلبات وبين واقع تلبيتها الفعلى ، الذى يقصر كثيرا عن تلك الامكانية .

وامام الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية

المتطورة يطرح تعزز الظواهر الازماتية للرأسمالية في السنوات الاخيرة مشكلات بالغة الحدة ، وجديدة في الكثير من النواحي ، وهي : انخفاض وتائر نمو الانتاج ، والترعزع الكبير للنظام المالي ، وتضخم ديون الدولة ، وغيرها .

وفي هذه الظروف تشن البرجوازية حملة منظمة على مكتسبات الكادحين الاقتصاديـــة والسياسية . وهي تسعى الى ان تنتزع منهم حتى المكتسبات التي دفعوا ثمنها في النضال المديد والعنيد . كما وتمارس ضغطا متزايدا على مستوى الاجور الفعلية ، الذي ينم عن نزعة شاملة نحو التدني . وتتزايد الهوة بين اجور الكادحين وبين ارباح الرأسماليين . ومن اكثر الظواهر ضررا بوضع الكادحين في البلدان الرأسمالية تأتي البطالة الدائمة والمتنامية : ان قسما متزايدا من السكان القادرين على العمل يستبعد ، كليا او جزئيا ، من ميدان الانتاج الاجتماعي .

وتشكل مسألة **العلاقة بين الثورة والحرب** احد اهم جوانب فهم جوهر الحالة الثورية .

فكثيرا ما ولدت الحالة الثورية في خضم

الحروب . فالحربان العالميتان الاولى والثانية سرعتا ، على السواء ، في الانفجار الثوري . فالضعف الذي اصاب المنظومة الرأسمالية بنتيجة الحرب العالمية الا لى سهّل انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا في اكتوبر ١٩١٧ . وبفضل تحطيم القوى الرئيسية للرجعية العالمية — الفاشية الالمانيـــة والايطالية والعسكرية اليابانية — ظهرت امكانية التحرر من اضطهاد الرأسمالية في جملة من بلدان اوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية ، وفي الصين وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية . وساعدت هذه العوامل نفسها على تحرر شعوب الهند واندونيسيا وبورما وغيرها من التبعية الاستعمارية . ومن هذه الوقائع التاريخية يمكن التوصل الى القول ان الحروب العالمية تزيد الى الحد الاقصى من احتدام التناقض الاجتماعي السياسي ، من بؤس الجماهير الشعبية وحرمانها ، وتؤدي الى الثورة .

ولكن هذا لا يعني اطلاقا ان الثورة لا تقوم بدون حرب . حسبنا هنا الرجوع الى ثورات التحرر الوطني العديدة في عصرنا ، والى الثورة الكوبية ، والى الثورة في الشيلي وبلدان اخرى .

فليست الحرب مصدرا للثورة ، ولا شرطا ضروريا لها . ولذا فان الماركسية تعارض ، وبكل حزم ، كافة النظريات والممارسات المغامرة ، الرامية الى «تأجيج الثورة بالحرب» .

ان الشيوعيين لا يخافون الثورة ، ولا يتهيبون الحرب الشعبية . وهم يقفون على استعداد لتقديم حياتهم باسم انتصار مثل الثورة وأهدافها . وقد استشهد آلاف وآلاف الشيوعيين على جبهات المعارك الثورية . ولكن كفاح الثوريين المسلح لا يكون مبررا الا اذا كان نابعا من الظروف الموضوعية لتطور الثورة .

كما وينبغي الاخذ بالحسبان انه اذا كانت بعض الحروب فى الماضى قد سرعت بالثورة وبالانتقال الى النظام الاجتماعى الجديد ، فان من شأن الحرب النووية فى الظروف الحالية ان تؤدى الى تدمير الحضارة البشرية كلها . وليس لدى الشعوب اليوم ثمة مهمة ، أجل وألح من مهمة الدفاع عن السلام ودرء الكارثة النووية .

ان الحالة الثورية ضرورية ليس فقط من اجل القيام بالانقلاب الاشتراكى ، بل ومن

اجل اية ثورة اجتماعية . ومن هنا ترتفع الى مرتبة القانون التاريخى العام . وتتأكد صحة ذلك فى ضوء مجمل تجربة الثورات البرجوازية فى القرن التاسع عشر ، والثورات الثلاث فى روسيا ، وثورات العصر الحاضر .

ويكتسب مفهوم الحالة الثورية اهمية خاصة بالنسبة لاستراتيجية النضال التحررى وتكتيكه . فتبين الخبرة التاريخية ان محاولات الاطاحة بسلطة الطبقات السائدة ، فى ظل غياب الحالة الثورية ، تنتهى بالفشل الذريع . فاذا لم تتوفر الظروف الموضوعية الضرورية لا يمكن لمساعى الثوريين ، ايا كانت ، ان تستدعى الثورة ، ولا يمكن لاية طاقة ثورية ان تؤدى الى تحوير المجتمع .

ولكن ليس من الضرورى ان تتكلل كل حالة ثورية بالثورة ، ناهيك عن انتصارها . فقد كانت ثمة حالة ثورية فى روسيا فى اعوام ١٨٥٩ — ١٨٦١ و١٨٧٩ — ١٨٨٠ ، ولكن الثورة لم تتم . وتشكلت حالة ثورية فى روسيا عام ١٩٠٥ ، ولكن الثورة منيت بالفشل .

والى جانب الظروف الموضوعية تتطلب الثورة نضوج العامل الذاتى .

ان **العامل الذاتى** فى التاريخ هو النشاط الواعى للذات ، للجماهير والطبقات والاحزاب والافراد .

ويذهب الفهم المادى للتاريخ الى ان التاريخ كله حصيلة النشاط العملى للناس ، الذين يصنعون التاريخ ، عن وعى او بدون وعى ، فى ظروف معينة . فالماركسيون يرفضون التصور عن تطور المجتمع بصورة آلية ، اوتوماتيكية ، قَدَرية . فالتاريخ لا يتم بحد ذاته ، وانما يصنعه الناس . وفى فترات الانعطافات الكبرى فى التاريخ ، عندما تنضج الظروف الموضوعية للتحولات الاجتماعية ، يمكن للعامل الذاتى ان يلعب الدور الحاسم . فعليه يتوقف تحقيق الامكانيات التى يوفرها التطور الاجتماعى .

فى العملية التاريخية يلعب دورا كبيرا الرجال العظام ، من القادة والزعماء الذين يعون المتطلبات التاريخية للتطور الاجتماعى ويعكسونها فى نشاطهم . ولكن الدور الحاسم فى الابداع التاريخى هو

3–1069

من نصيب الجماهير الشعبية . فمن خلال الكشف عن قانونيات العملية التاريخية تبينت الماركسية اللينينية فى الجماهير الشعبية المعبر الاساسى عن الضرورة التاريخية ، والقوة التى تلعب الدور الحاسم فى التطور الاجتماعى .

ولكن مضمون مفهومى «الشعب» و«الجماهير الشعبية» يختلف من عصر تاريخى الى آخر . ففى ظل المشاعية البدائية ، حيث لم يكن المجتمع قد انقسم بعد الى طبقات ، كان مفهوم «الشعب» يشمل السكان كلهم . كذلك يتطابق مفهوما «الشعب» و«السكان» فى ظروف الاشتراكية ، وذلك بعد تصفية الطبقات الاستغلالية .

اما فى المجتمع الطبقى فقد تضم الجماهير الشعبية فئات اجتماعية مختلفة . ولكن برغم كل التغير التاريخى للقوام الطبقى للجماهير الشعبية فان هذا الفهم ، اولا ، ينطوى دوما على الجماهير الكادحة ، التى تنتج الخيرات المادية ، والتى تشكل نواته ؛ وهو يشمل ، ثانيا ، اغلبية السكان ، وذلك فى مجابهة الفئة العليا المعادية للشعب وبالتعارض مع الطبقات الرجعية ؛ وهو

يضم ، ثالثا ، الفئات الاجتماعية ، المؤهلة ، فى الفترة التاريخية المعنية ، لدفع عجلة التقدم الاجتماعى الى الامام .

وفى ظروف تاريخية معينة يمكن ان تنخرط فى مفهوم «الشعب» بعض الطبقات غير الكادحة ، كما هو حال البرجوازية الوطنية عندما تساهم فى حركة المجتمع التقدمية .

وكان مفهوم «الشعب» قبل ظهور الماركسية يدل أغلب الاحيان على «العامة» ، على «السواد» ، الذين ليس لهم الاّ الانقياد الاعمى للرجال العظام .

وتروج ايضا بين السوسيولوجيين البرجوازيين المعاصرين النظريات التى تقسم المجتمع الى السواد والى النخبة (الشريحة او الشرائح العليا ذات الامتيازات التى تقوم بوظائف الادارة وتطوير العلم والثقافة) التى تمثل الصانع الحقيقى للتاريخ . وان الهدف الرئيسى لمثل هذه النظريات هو اقناع الكادحين بعجزهم عن بناء الحياة المستقلة ، بدون الطبقات الاستغلالية ، والتغطية على التناحر الطبقى الفعلى بين البرجوازية والشغيلة ، بتصويره

«تناقضا سرمديا» بين «سواد» الشعب وحفنة من الشخصيات الفذة .

ولكن الشعب هو الذى يلعب الدور الحاسم فى التاريخ .

فنشاط الجماهير الانتاجى يشكل العامل الأهم فى حياة المجتمع . فالجماهير الشعبية تصنع ادوات العمل وتطورها ، وتكدس مهارات العمل وتنقلها من جيل الى آخر ، وتنتج كافة الخيرات المادية التى بدونها لا يمكن ان يعيش المجتمع يوما واحدا .

والشعب هو الذى يلعب الدور الأهم فى ميدان الثقافة ، فى انتاج القيم الروحية . فالماركسيون يعطون للعباقرة من رجالات العلم والفن حقهم . ولكنهم يؤكدون ان الجماهير الشعبية هى التى ارست اسس الانتاج الروحى ووفرت الظروف الملائمة لتقدمه . فالفكر واللغة ، المعرفة والكتابة انما ترتبط بنشاط الجماهير الكادحة .

فالشعب هو الذى صنع أهم عنصر من عناصر الثقافة — اللغة ، وهو الذى ابدع الملاحم

والموسيقى والرقص . ولا يزال الابداع الشعبى ينطوى ، فى ايامنا ايضا ، على قيمة جمالية كبيرة ، ففيه بالتحديد تولد وتنمو الصيغة القومية لفن البلد المعنى وادبه .

والشعب يلعب الدور الكبير فى الحياة السياسية . ففى المجتمعات التناحرية كانت الطبقات الاستغلالية تسعى دوما لابعاد الشعب عن المشاركة فى الادارة الحكومية ، ولتخفيض فعاليته السياسية الى ادنى حد ممكن . وهذه سمة ملازمة للمجتمعات الاستغلالية عامة . ولكن السياسة بالذات ميدان للصراع العنيف بين الاستغلاليين والمستغَلين . فكافة الحريات الديمقراطية السياسية والاجتماعية فى ظروف الرأسمالية انما انتزعت من الطبقات السائدة فى مجرى النضال الطبقى للجماهير الشعبية .

ثم ان دور الجماهير الشعبية فى حياة المجتمع السياسية يتعاظم بصورة خاصة ويتضح جليا وعلى نحو مباشر فى ايام الانعطافات التاريخية فى الثورات وحركات التحرر الوطنى . وبدون الدور الحاسم للجماهير لا تتم اية حادثة تاريخية .

وايا كانت الطبقة التى تأتى الى السلطة بعـد الثورة فان الجماهير الشعبية كانت دوما القوة المحركة الرئيسية لهذه الثورة . «فالثورات هى عيد المضطهَدين والمستغَلين . فلا يمكن لجمهور الشعب ان يلعب دور المبدع النشيط للانظمة الاجتماعية الجديدة مثلما يمكنه ذلك ايام الثورة» * .

ويبين التاريخ العالمى انه كلما كانت اكبر كمية الجماهير التى تتحرك كانت اعمق التحولات الاجتماعية والسياسية فى المجتمع . وبالعكس فمع اتساع نطاق الفعل التاريخى يزداد تعداد الجماهير الشعبية المشاركة فى التاريخ . وذلك هو احد أهم قوانين التاريخ . وقد كشف لينين عن جوهر هذا القانون بقوله : «كلما اتسع نطاق الافعال التاريخية ازداد عدد الناس الذين يشاركون فيها ، وبالمقابل ، فكلما كانت التحولات التى ننوى تحقيقها اعمق مدى كان لزاما علينا العمل على نحو اكبر لجذب الاهتمام اليه واشاعة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ١٠٣ .

الموقف الواعى منه ، كان لزاما علينا اقناع الملايين وعشرات الملايين الجديدة والجديدة بهذه الضرورة»* .

وفى العصر الحاضر يتعاظم باطراد دور الجماهير الشعبية فى التاريخ .

وبعد انتصار الثورة الاشتراكية ، التى يصفى بنتيجتها استغلال الانسان للانسان ويتراجع التطور العفوى للمجتمع ليخلى مكانه للتطوير التخطيطى لكافة ميادين الحياة الاجتماعية الموجه من قبل الحزب الماركسى اللينينى ، يرتفع دور الشغيلة الى مستوى نوعى جديد .

وصارت حركة التحرر الوطنى احدى القوى المحركة الرئيسية للعملية الثورية العالمية فى عصرنا . فقد نهضت اليوم للابداع التاريخى مئات الملايين من الناس ، الذين كانوا من قبل خاضعين للنير الاستعمارى .

واليوم تشكل الجماهير الشعبية القوة الاساسية فى النضال من اجل السلام ، وفى سبيل درء

---

* المصدر السابق ، المجلد ٤٢ ، ص ١٤٠ .

الحرب النووية .

ولكنه لا يجوز النظر الى دور الجماهير الشعبية نظرة مجردة ، بمعزل عن الطبقات والاحزاب ، وعن الزعماء الذين يترأسونها . فنقمة جماهير الكادحين الواسعة ليس من الضرورى ان تؤدى دوما الى تبنيهم مواقف كفاحية متسقة فى طبقيتها . فيدل التاريخ على انه فى بعض الحالات الازماتية يمكن للقوى الرجعية ، التى تمتلك وسائل قمع الجماهير وتضليلها ، ان تدفعها الى افعال تتناقض مع مصالحها الجذرية وتتعارض مع التقدم الاجتماعى . فدور الجماهير الشعبية يتوقف على طبيعة قيادتها السياسية والفكرية فى اللحظة المعنية ، فى هذا البلد او ذاك . وان واجب الحزب الثورى يقوم فى الكشف للجماهير عن وجود الحالة الثورية ، واستنهاض الوعى والعزم الثوريين لديها ، واقامة التنظيمات التى تتلاءم مع متطلبات الحالة الثورية . وكان لينين يقصد بـ «**العامل الذاتى فى الثورة**» «قدرة **الطبقة** الثورية على افعال جماهيرية ثورية ، تكون من **القوة** بحيث تكفى للاطاحة

(او للكسر الجزئي) بالحكومة القديمة التي لا «تسقط» ابدا ، حتى في ايام الازمات ، اذا لم «يُرمَ» بها * .

وتتمثل القانونية الموضوعية للثورة في توحيد كافة القوى التقدمية التي تتراص على ارضية سياسية مشتركة ، تعبر عن النزوع الى تصفية النظام الاجتماعي القديم . وهنا تبرز ضرورة نشاط الحزب الثوري ، القادر على جمع كافة هذه القوى الثورية وتوحيدها . «فالحزب هو الشريحة الواعية في الطبقة ، هو طليعتها . وان قوة هذه الطليعة هي اكبر بعشر مرات ، بل وبمئة مرة ، من تعدادها» ** .

وفي ضوء ما ذكرناه اعلاه يمكن القول ان العامل الذاتي ينطوي على الجوانب التالية :

١ — وعي الجماهير الثوري واستعدادها وعزمها على النضال حتى النهاية ؛

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٢١٩ .

** المصدر السابق ، المجلد ٢٤ ، ص ٣٤ .

٢ — تنظيم الجماهير وتوفر الطليعة ، الامر الذى يتيح توحيد وتراص كافة القوى المؤهلة للنضال من أجل انتصار الثورة ؛

٣ — قيادة الجماهير من قبل حزب مؤهل لرسم استراتيجية وتكتيك صحيحين فى النضال ، ولتجسيدهما على أرضية الواقع .

ان نضج العامل الذاتى هو الشرط الرئيسى لتحقيق امكانيات الحالة الثورية . ثم ان وحدة الحالة الثورية والعامل الذاتى الناضج هى المقدمة الشاملة والضرورية للقيام بالثورة . وتشكل **وحدة الظروف الموضوعية والعامل الذاتى** ، عند لينين ، **القانون الاساسى لاية ثورة اجتماعية** * .

اما تجاهل متطلبات قانون الثورة الاساسى فيؤدى الى المغامرة فى السياسة ، وقد ينتهى بهزيمة القوى الثورية .

ولذا فان مهمة الطليعة الثورية تقوم بالضبط فى التحديد الصحيح لما اذا كانت الظروف

---

* انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٧٧ — ٧٩ .

المعنية تتفق مع النضال الناجح من اجل انتصار الثورة .

٤ ـــ الثورة والثورة المضادة

على الصعيد التاريخى العالمى تكون مقاومة الطبقات البائدة العهد محكوما عليها ، فى نهاية المطاف ، بالفشل . ولكن فى كل حالة ملموسة قد تحدث فى مجرى التطور الثورى تعرجات وتراجعات ، حتى وهزائم مؤقتة . ويعود ذلك الى ان القوى الرجعية تستخدم كافة الامكانيات من اجل الابقاء على سيطرتها الطبقية ، وتلجأ الى شتى اشكال الصراع ضد الحركة الثورية المتنامية . ثم ان الانتقال الى نظام اجتماعى جديد يترافق بصراع حتمى بين الثورة والثورة المضادة .

ان **الثورة المضادة** هى رد فعل على الثورة ، وأحدّ صيغ صراع الطبقات الرجعية ضد القوى الثورية . وبرغم تنوع اساليب الثورة المضادة (المؤامرات ، والاعمال التخريبية والتحريض ضد

السلطة الثورية واجراءاتها ، الخ .) فانها تسعى الى العنف والارهاب . اما جوهرها فهو العمل للوقف القسرى للتحوير الثورى للمجتمع . واذا انتصرت الطبقة الرجعية بنتيجة الثورة المضادة تجرى العودة الى الانظمة القديمة ويغدو انتصار الثورة المضادة مأساة بالنسبة للطبقات المضطهَدة . وتدل جليا على ذلك الابادة الدموية للمشاركين فى كومونة باريس عام ١٨٧١ ، والاعدام الجماعى للعمال رميا بالرصاص بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ فى روسيا ، والتصفية الوحشية للشيوعيين والثوريين اثناء احداث ١٩٦٥ — ١٩٦٦ فى اندونيسيا ، والاعمال الاجرامية للطغمة العسكرية بالشيلى بعد الانقلاب الفاشى عام ١٩٧٣ ، وامثلة كثيرة غيرها .

وقد تكون الثورات المضادة مختلفة من حيث محتواها الطبقي — اقطاعية ملكية او برجوازية . وثمة لون متميز تماما منها ، هو الثورة المضادة ، الموجهة ضد الثورة الاشتراكية .

ان **القاعدة الاجتماعية للثورة المضادة تتمثل** ، قبل كل شيء ، فى الطبقات الاستغلالية الرجعية

التي فقدت ، بنتيجة الثورة ، سلطتها وثروتها . فهذه الطبقات هي التي تنظم الاعمال المضادة للثورة وتوجهها . اما المنفذون المباشرون للارهاب والاعمال المضادة للثورة فيكونون عادة من العناصر المنسلخة عن طبقتها ، ومن المتعصبين المنتمين الى الفئات الفلاحية الاكثر تخلفا والادنى وعيا ، ومن الشرطة ووحدات الجيش النظامي . ولكن هذه الفئات تشكل اقلية السكان من حيث العدد . ولذا فان مجابهة الثورة تتطلب من القوى المضادة البحث عن قاعدة اجتماعية عريضة الى هذا الحد أو ذاك . وعبر الخداع والتضليل واستغلال هذه او تلك من اخطاء الثورة يسعى الرجعيون لان يجتذبوا الى طرفهم فئات الكادحين الاكثر تخلفا . وتوجه القوى المضادة للثورة اهتمامها الرئيسي نحو البرجوازية الصغيرة . وبهذا الهدف تحاول تعبئة الفلاحين بروح المعارضة للتعاونيات ، وتسعى الى ضرب تحالف الطبقة العاملة مع فقراء الفلاحين ومتوسطي الحال منهم . ومن ذلك انه عند قمع كومونة باريس امكن للقوى المضادة للثورة الاستناد الى الجماهير الفلاحية .

وكان بين الاسباب المؤدية الى ذلك ان اغلبية الفلاحين كانت تقرن الاشتراكية بنزع ملكيتهم الخاصة .

ولذا فان النضال لاجتذاب الجماهير كان ، ولا يزال ، المشكلة المحورية فى الصراع بين قوى الثورة واعدائها . وان حرمان الثورة المضادة من اية قاعدة جماهيرية معناه الحد من قدراتها الى درجة ملحوظة .

وفى عصر الازمة العامة للرأسمالية لا يندر تجلى الافعال المضادة للثورة فى صورة الانقلابات الفاشية . اما وصول الاحزاب الفاشية الى السلطة فقد يتم بالوسائل المسلحة ، وذلك بالتعارض مع الدستور البرجوازى الديمقراطى . ذلك هو ، مثلا ، حال الانقلاب الفاشى فى الشيلى عام ١٩٧٣ . ومع ذلك لا يفوت الفاشيون فرصة استخدام الوسائل البرلمانية لتحقيق اغراضهم المضادة للثورة . فى عام ١٩٣٣ قام الهتلريون بانقلاب فاشى فى المانيا بعدما حصلوا بنتيجة الانتصار فى الانتخابات على اغلبية المقاعد فى الريخستاغ . وفى السبعينات اقيمت الانظمة الفاشية وشبه

الفاشية بنتيجة الانقلابات العسكرية فى سلسلة كاملة من بلدان امريكا اللاتينية .

ان **الفاشية** هى الدكتاتورية المكشوفة لاكثر فئات البرجوازية الاحتكارية رجعية وشوفينية . فبعد استلام السلطة يلجأ الفاشيون الى الارهاب المكشوف ، ويقضون على الحقوق والحريات الديمقراطية التى اكتسبتها الجماهير الكادحة عبر نضالها المديد الشاق ، ويقومون باعمال التنكيل فى وجه الشيوعيين والنقابيين وكافة الثوريين .

ويشكل الدعم الشامل من طرف الرجعية العالمية اهم ركائز الثورة المضادة . واليوم تمثل الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة الامريكية معقل الثورة المضادة العالمية وملهمها ومنظمها . ويشكل تصدير الثورة المضادة (الثورة المضادة الخارجية) من طرفها تهديدا لحرية الشعـــوب واستقلالها ، ويهدف الى الابقاء على الانظمة الاستغلالية المعادية للشعب ، ويؤدى الى زيادة التوتر الدولى . وتدل على عدوانية هذه السياسة المضادة للثورة المؤامرات والدسائس الامريكية فى نيكاراغوا والسلفادور وافغانستان وانغولا ،

وتشجيع القوى المضادة للثورة فى البلدان الافريقية ، والاعمال التخريبية المعادية للاشتراكية فى بلدان اوروبا الوسطى والشرقية ، وأمور كثيرة غيرها . وهنا تستخدم الاوساط الرجعية الامريكية مخزونا كبيرا من الوسائل المتنوعة — بدءا بالاعمال الاقتصادية والتخريب الايديولوجى وانتهاء بالعدوان العسكرى الوقح .

وتستخدم الرجعية العالمية الاشتراكيةَ الفعليةَ موضوعا رئيسيا لهجماتها المضادة للثورة .

فمنذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا ترسخت الاشتراكية الفعلية خلال مدة قصيرة نسبيا واشتد عودها ، وتحولت الى القوة الثورية الرئيسية فى عصرنا .

وخلال العقود التى تلت الحرب العالمية الثانية توطدت الاشتراكية الفعلية كمنظومة من الدول ، وبينت جليا افضلياتها الجذرية حيال الرأسمالية .

وبين الانجازات العملية للاشتراكية تأتى تصفية كافة اشكال الاضطهاد الاجتماعى والظلم القومى ، والقضاء على البطالة ، واشاعة التعليم .

المجانى والخدمة الصحية المجانية ، والضمان الاجتماعى الحكومى ، ورخص اجور السكن ، وتسريع وتائر تطور الامم والشعوب المتخلفة ، والنهوض الاقتصادى الخالى من الازمـــات ، والديمقراطية الحقيقية التى تضمن المساهمــة الفعالة والمنقطعة النظير للجماهير الشعبية فى كافــة ميادين الحياة الاجتماعية ، وكثير من المكتسبات الاخرى التى ليست بمتناول الكادحين فى المجتمع الرأسمالى .

وصارت الاشتراكية اليوم حصنا منيعا لكافة القوى التقدمية والديمقراطية والتحررية والمحبــة للسلام ، وطليعة العملية الثورية العالمية وركيزتها الجبارة . ولهذا بالذات فانه مع تحسن سمعة الاشتراكية واتساع نفوذها تتعزز المكائد المضادة للثورة والمعادية للبلدان الاشتراكية من طرف الامبريالية والرجعية العالمية كلها .

وهنا تستخدم على نطاق واسع شتى الوسائل : محاولات التدخل بالقوة العسكرية لاعاقة البناء الاشتراكى ، والسعى لاجتذاب هذه الدولـة الاشتراكية او تلك الى فلك التبعية المالية ،

والاقتصادية عامة ، للدول الامبريالية ، وتأجيج رواسب التعصب القومى والمخلفات الدينية وغيرها .

واليوم تعول الرجعية العالمية تعويلا خاصا على نسف الاشتراكية من الداخل . وفى العقود الاخيرة راحت تروج فى اوساط القوى الرجعية ما يسمى بالثورة المضادة «الهادئة» او «الزاحفة» . فاعداء الاشتراكية يستخدمون اخفاقات القوى الثورية واخطاءها ، والصعوبات الموضوعية المرافقة لولادة النظام الاجتماعى الجديد ، بهدف التضليل الايديولوجى للكادحين ، واشاعة التفسخ فى اوساط الحزب الحاكم ، املا فى نقل السلطة الى أيدى القوى المضادة للثورة ، والعودة التدريجية الى العلاقات الرأسمالية .

وتراهن الرجعية العالمية على الاستراتيجية الكونية للتصدى للعملية الثورية ، فتولى العناية الاولى للصراع ضد الحركات الثورية الصاعدة وحركة التحرر الوطنى ، وتعمل للتنسيق بين كافة القوى المضادة للثورة .

والثورة المضادة اعمال ، لا مستقبل تاريخى لها ، لانها تتناقض مع الضرورة التاريخية ،

ولا جذور لها فى الارضية الوطنية والاجتماعية للبلاد التى تسلك سبيل الثورة . ومع ذلـــك فان ضمان التحولات التقدمية يتطلب يقظة كافة القوى الثورية . فالتجربة التاريخية تشهد على ان حماية الثورة من مكائد القوى المضادة للثورة تشكل ضرورة موضوعية . «فالثورة ، اية ثورة ، لا تساوى شيئا الا اذا كانت قادرة على الدفاع عن نفسها» * .

وتخوض البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية نضالا حازما ضد تصدير الثورة المضادة ، وتقدم العون للشعوب التى وقعت ضحية العدوان العسكرى للقوى الرجعية .

ويتضمن برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى صياغة دقيقة للموقف من الثورة والثورة المضادة . فقد جاء فيه «ان الثورة حصيلة قانونية للتطور الاجتماعى وللصراع الطبقى فى كل من البلدان المعنية . وان الحزب الشيوعى السوفييتى كان يرى ، ولا يزال ، أنه لا يجوز «تصدير» الثورة ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ١٢٢ .

فرضها من الخارج . وفي الوقت ذاته تكون كافة اشكال «تصدير» الثورة المضادة ، هى الاخرى ، مساسا فظا بالرغبة الحرة للشعوب ، بحقها في الاختيار المستقل لسبيل تطورها . وان الاتحاد السوفييتى يتصدى بحزم لمحاولات الوقف القسرى لمجرى التاريخ والعودة به الى الوراء» .

٥ ـــ انماط الثورات الاجتماعية

ان لكافة الثورات الاجتماعية سمات عامة مشتركة : تطابق الظروف الموضوعية والعامل الذاتى كقانون اساسى لها ، وتصارع القوى الثورية والمضادة للثورة ، وغيرها . ومع ذلك فان للثورات ، التى تجرى فى عصور مختلفة وظروف متباينة ، سماتها الخاصة ، النابعة من طابع التناقض الاساسى الذى تحله ، ومن قوام القوى المحركة للثورة .

ان **القوى المحركة للثورة** هى الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية التى تقوم بالانقـــــلاب

الاجتماعى . ويعود قوام القوى المحركة للثورة الى اساسها الاقتصادى . فبحل النزاع الناشب فى اسلوب الانتاج المعنى ، وبازاحة العلاقات الانتاجية البالية واستبدالها بعلاقات جديدة ، تكون معنية الفئة الطليعية فى المجتمع ، اغلبيته العظمى .

وفى الوقت ذاته يتوقف قوام القوى المحركة على عوامل اخرى ايضا : وعى الجماهير المضطهَدة ، ودرجة تنظيمها ، الخ . ولكن ليس فى كل ثورة اجتماعية تكون كافة الطبقات ، المعنية موضوعيا بانتصارها ، قوى محركة لها . ففى ايام كومونة باريس ، مثلا ، لم يساهم الفلاحون الكادحون فى الثورة عمليا ، وان كانت مصالحهم تتوقف موضوعيا على انتصارها .

كما وتتوقف القوى المحركة للثورة على الظروف التاريخية التى تتم الثورة فيها . فلا ينذر ان تكون الثورات من نمط واحد ، ولكنها تجرى فى ظروف تاريخية متفاوتة ، فتختلف اختلافا عميقا فى قواها المحركة . ومن ذلك ان القوة المحركة للثورات البرجوازية فى القرنين ١٧ — ١٨

بالبلدان الاوروبية الغربية كانت تتمثل فى الفلاحين والطبقة العاملة الناشئة والبرجوازية الصغيرة المدينية والشرائح البرجوازية . ولم تكن البرجوازية مجرد قوة محركة لهذه الثورات بل وكانت تتزعمها . اما في ثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ البرجوازية وثورة شباط ١٩١٧ في روسيا فلم تكن البرجوازية زعيمة للثورة ، حتى ولم تكن بين قواها المحركة . فهنا كانت القوى المحركة للثورة تتمثل فى البروليتاريا والفلاحين ، وذلك في ظل زعامة البروليتاريا .

وقد وضعت الماركسية اللينينية **تصنيفـــا للثورات الاجتماعية تبعا لانماطها** . وينطلق هذا التصنيف من مفهوم التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية . فيتحدد نمط الثورة بطبيعة النظام الاقتصادى الاجتماعى الذى تطيح به وبالنظام الذى ترسخه مكانه . وبالاتفاق مع الانماط الاساسية الثلاثة من التشكيلات الطبقية المتناحرة — العبودية ، الاقطاعية والرأسمالية — تبرز ثلاثة انماط اساسية من الثورات الاجتماعية : الثورات الاجتماعية عند الانتقال من العبودية الى الاقطاعية ، ومن

الاقطاعية الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الاشتراكية . وتمثل الثورات البروليتارية الاشتراكية ارفع انماط الثورات الاجتماعية ، وتتميز جذريا عن كافة الثورات السالفة .

وكان الانتقال من المشاعية البدائية الى الرق اول تبدل للتشكيلات الاقتصادية الاجتماعية فى التاريخ . وتقوم خصوصية هذا الانتقال فى انه كان يعنى استبدال المجتمع ما قبل الطبقى بمجتمع طبقى . ويمكن اعتباره ، هو الآخر ، نمطا خاصا من الثورة الاجتماعية ، اذ ترافق بتحطيم جذرى لكافة العلاقات الاجتماعية وبانتقال من تشكيلة اقتصادية اجتماعية الى اخرى . ولكن هنا لم تجر ثورة سياسية ، ذلك ان العلاقات السياسية لم تكن موجودة فى المجتمع المشاعى البدائى . فالسلطة السياسية والعلاقات السياسية انما تظهر بظهور الطبقات ، وذلك عند تفسخ نظام المشاعية البدائية . اما الانتقال الى التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الجديدة ، العبودية ، نفسه فجرى على نحو عفوى ، وجاء حصيلة جملة من العمليات المحلية .

وعلى العموم فان مسألة انماط الثـورات الاجتماعية مسألة معقدة للغاية . فالحدود الفاصلة بين الانماط المختلفة من الثورات ليست حدودا ساكنة وجامدة . ثم ان السيرورة الواقعيـة للتطور الاجتماعى تنطوى على انماط اقل جلاء فى معالمها . وقد تكون ثمة ثورات اجتماعية ، تجمع بين حل المهام الاساسية وبين حل المهام التى خلفتها العصور السالفة بدون حل . وقد تظهر ثورات غير مكتملة . ومن ذلك ، مثلا ، ثورة الشيلى . فقد كانت تنطوى على ارهاصات نزعات متباينة ، بما فيها النزعات الاشتراكية . وقامت الثورة بسلسلة من التحولات الديمقراطية العامة العميقة ، التى ارست الاساس لتطورها لاحقا نحو الاشتراكية . ولكن مجرى الثورة «الطبيعى» تعطل بالانقلاب العسكرى الرجعى .

ثم ان كل نمط من الثورة الاجتماعية يتفرع بدوره الى اشكال عدة . وفى العصر الحاضر تأتى التحولات الثورية على نحو بالغ التعقيد والاشكال . اما محورها فهو الثورات الاشتراكية ، التى تشكل المنظومة الاشتراكية العالمية مرتكزها

الرئيسى . وعلى نطاق واسع اندلعت الثورات الديمقراطية الشعبية المعادية للامبريالية والمعادية للاقطاعية ؛ وثورات التحرر الوطنى المعادية للامبريالية . وهذه كلها روافد للعملية الثورية العالمية الموحدة ، المؤدية الى التجديد الاجتماعى للمجتمع .

الفصل الثانى

الثورات البرجوازية والثورات البرجوازية الديمقراطية

١ ـــ الثورات البرجوازية

تسمى الثورات الاجتماعية عند الانتقال من الاقطاعية الى الرأسمالية بالثـــــــورات البرجوازية . وقد جرت هذه الثورات فى اوقات متفاوتة ، وشغلت عصرا تاريخيا كاملا : القرون السادس عشرـــ التاسع عشر. وكان ذلك عصر انهيار الاقطاعية وترسيخ التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الجديدة ، التشكيلة الرأسمالية .

وقد شهد تاريخ المجتمع الاقطاعى سلسلة كاملة من الحركات التى لم تتحول الى ثورات اجتماعية مظفرة .

وبين هذه تأتى تقريبا كافة الانتفاضات

والحروب الفلاحية عصر تطور الاقطاعية الصاعد : انتفاضة الفلاحين بزعامة وات تايلر فى انكلترا (عام ١٣٨١) ؛ وحركة الفلاحين ، المعروفة بـ«جاكيريا» فى فرنسا ؛ والانتفاضات الفلاحية بقيادة ايفان بولوتنيكوف (١٦٠٦ — ١٦٠٧) وستيبان رازين (١٦٧٠ — ١٦٧١) ويميليان بوغـــاتشوف (١٧٧٣ — ١٧٧٥) فى روسيا ، وغيرها .

وكانت هذه الثورات الفلاحية عفوية كلها او كانت غير منظمة ، مما كان وراء ضعفها . ولم يكن ثمة طبقة بوسعها تزعم تحرك الفلاحين ، ولا برنامج متسق فى النضال . والاهم من ذلك هو انه لم يكن قد آن اوان استبدال النظام الاقطاعى بالنظام الرأسمالى .

ولكن الثورات الفلاحية ، برغم فشلها ، أنزلت بالاقطاعية ضربات جدية وعززت أزمتها .

وبمرور الزمن بدأ نمو القوى المنتجة يتناقض مع العلاقات الانتاجية السائدة فى المجتمع الاقطاعى ، ومع المؤسسات السياسية والايديولوجية النابعة منها . والى جانب الورشات الحرفية الصغيرة راحت تظهر المانيفاكتورات الكبيرة ، التى كانت

تقوم على التكنيك الحرفى ، ولكنها تستخدم على نطاق واسع تقسيم العمل وعمل الشغيلة المتحررين من نظام القن .

وفى احشاء المجتمع الاقطاعى راح يتشكل اسلوب الانتاج الجديد ، الرأسمالى ، وكان تطور هذا الاسلوب يتطلب تصفية الانظمة الاقطاعية . فكانت البرجوازية ، وهى الطبقة الحاملة لاسلوب الانتاج الجديد ، تحتاج الى سوق عمل «حرة» ، اى الى شغيلة ، متحررين من نظام القن ومحررين من الملكية ، ومضطرين لبيع قوة عملهم . وكانت تحتاج الى سوق وطنية عامة ، والى اطلاق يدها فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية .

وصار تعمق التناحر الطبقى واحتدام الصراع بين البرجوازية والطبقة الاقطاعية السائدة ، التعبير الاجتماعى الاساسى عن النزاعات الاقتصادية . وعلى هذا النحو تشكلت حالة ثورية وحل عصر الثورات البرجوازية .

وقد جرت الثورات البرجوازية الباكرة بزعامة البرجوازية المدينية ، التى مضت احيانا بنضالها

قدما ، فوصلت حتى الاطاحة الحازمة بالاقطاعيين ، وتوصلت ، فى احيان اخرى ، الى النصر عبر المساومة معهم . اما الجيش المقاتل فى هذه الثورات (قواها المحركة) فكان يتمثل ، فضلا عن البرجوازية ، فى الفلاحين والفئات الفقيرة من سكان المدن والطبقة العاملة الناشئة . (ونظرا لعدم الانتظام فى التطور التاريخى تجرى الثورات البرجوازية فى عصور مختلفة ، مما يؤدى ، كما سنرى ادناه ، الى تغيرات جدية فى القوى المحركة للثورة وفى مواقف البرجوازية نفسها .)

ان المأثرة التاريخية للثورات البرجوازية تقوم فى انها ساهمت فى زعزعة ونسف النظام الاقطاعى البالى ، وفى رميه الى مزبلة التاريخ احيانا كثيرة . وعلى الصعيد السياسى كانت الثورات البرجوازية موجهة ضد المكنة الحكومية الاقطاعية ، ضد الانظمة الملكية .

وفى بعض الحالات وكانت الثورات البرجوازية حازمة حينا ، وغير متسقة حينا آخر ، فى انزالها الضربة بنظام القنانة ، وفى تمزيقها للروابط التى كانت تقيد ، خلال قرون طويلة ، اجيال

الفلاحين الاقنان ، وتشدهم الى الاقطاعيين ، ولكن الشيء الرئيسي ، الذى قامت به الثورات البرجوازية والذى يمثل رسالتها الموضوعية ، هو تمهيد الطريق للعلاقات الاقتصادية الرأسمالية ، واقامة سلطة الدولة التى تحافظ على هذه العلاقات وتسبغ عليها هالة قدسية . ولكن عند النظر الى الثورات البرجوازية كنمط تاريخى من الثورة الاجتماعية ينبغى التأكيد على الفوارق العميقة والجدية أحيانا فى مسيرة هذه الثورة او تلك . ففى انكلترا ، مثلا ، انتهت الثورة البرجوازية بمساومة بين البرجوازية والاقطاعيين ، بالابقاء على النظام الملكى كصيغة لادارة الدولة . ولكن هذه المساومة لم تقف عائقا على طريق تطور العلاقات الرأسمالية فى انكلترا ، حتى وساعدت عليه فى احيان كثيرة ، ولا سيما فى تحقيق السياسة الاستعمارية الانكليزية .

اما فى فرنسا فقد اطيح بالنظام الاقطاعى اطاحة حازمة ثورية ، فكان المشاركون فى الاعمال الثورية لا يعرفون المساومة حيال الاقطاعية ومؤسساتها الحكومية . وقد سميت ثورة ١٨٧٩

بـ«العظمى» لانها اطاحت بالنظام الملكـــي المقيت ، وبدت وكأنها توفر المساهمة الديمقراطية للجماهير فى ادارة الشئون الحكومية .

وفى روسيا امتد استبدال العلاقات الاقطاعية القنانية لردح طويل من الزمن ، ناهيك عن ان الطبقات السائدة كانت تسعى عن طريق الاصلاحات الى تكييف المؤسسات الاقطاعية مع تطور الرأسمالية . ولكن لم يكن لاية اصلاحات ان تنقذ الحكم القيصرى المطلق فى روسيا ، فاطاحت به الثورة الشعبية الجبارة فى شباط (فبراير) ١٩١٧ .

وعند تحديد درجة مساهمة الجماهير الشعبية فى الثورة يتم ابراز ما يسمى بالثورات البرجوازية «الفوقية» . وهذه الثورات برجوازية من حيث مهمتها التاريخية ، ذلك انها تساعد على اقامة وتوطيد العلاقات الاجتماعية الرأسمالية . ولكنها ، من حيث قواها المحركة ، محدودة تاريخيا . ففيها تشارك ، كقاعدة عامة ، هذه او تلك من التجمعات البرجوازية ، فى حين تكون مساهمة الجماهير الشعبية وقوى المجتمع التقدمية

فيها ضئيلة للغاية . وليس بوسع الجماهير ان تطرح ، في مجرى مثل هذه الثورات ، مهامها الخاصة بها ، لانها مستبعدة من المساهمة النشيطة في العملية الثورية . وتسمى هذه الثورات «فوقية» لانها لا تمس بالكثير من السمات الهامة للنظام القديم .

وعلى نحو اقل ثورية تأتي انقلابات البلاط ومختلف المؤامرات . ولكن في بعض الحالات يمكن ان تستثير الجماهير وتدفعها الى التحرك . عندئذ قد تأتي العواقب غير متوقعة بالنسبة لمنظمي المؤامرات السرية والانقلابات البلاطية .

وينبغي الاخذ بالحسبان ان الطبقة المسيطرة تكون موزعة الى جماعات وشرائح مختلفة ، لكل منها اهدافه الخاصة به . ولتأمين هذه المصالح تسعى الجماعة المعنية للاتيان بالحكومة التي تمثل مصالحها تمثيلا مباشرا . وهذا صراع ضمن الطبقة الواحدة ، لا يتهدد ابدا سيطرتها ، صراع حول اعادة توزيع الارباح بين ممثلي الطبقة الاستغلالية نفسها ، ومن اجل توفير افضل الشروط لاثراء

هذه الجماعة او تلك .

وكثيرا ما تكون الانقلابات الحكومية عسكرية ، حيث يعمل المساهمون فيها على اشراك جماعات معينة من ضباط الجيش الذين تربطهم واياهم مصالح مشتركة . وقد يكون الانقلاب الحكومى تقدميا او رجعيا . ويتوقف هذا على الاهداف التى يتوخاها المشاركون فى الانقلاب المعنى . فهناك حالات معروفة ، تمت فيها انقلابات حكومية ، قام بها العسكريون من ذوى الامزجة التقدمية ، او العسكريون المرتبطون بفئة من البرجوازية المعنية بالظفر بالاستقلال الوطنى وتوطيده . وفى ظروف معينة ، كالارتباط بالقوى الديمقراطية مثلا ، يمكن لهذه الانقلابات ان تعنى الشروع بتنفيذ اصلاحات ديمقراطية . وهنا نذكر الانقلاب الحكومى فى مصر عام ١٩٥٢ والبيرو عام ١٩٦٨ والبرتغال عام ١٩٧٤ . ولكن بنتيجة هذه الانقلابات الحكومية ، التى قام بها ضباط تقدميو الأمزجة ، لم تنتقل السلطة كاملة الى الشعب . فالضباط ، الذين يمثلون شريحة وسطى ، لم يكونوا متسقين فى

ثوريتهم ، فانتابتهم الترددات ، وذلك بسبب ازدواجية وضعهم فى المجتمع . وتستخدم البرجوازية هذه الترددات ، لتودى ، كقاعدة عامة ، بمكتسبات القوى التقدمية فى مثل هذه الانقلابات الحكومية .

وتتميز الثورة البرجوازية بسمات خاصة فى البلدان التابعة والمستعمرة . وهنا يمكن للاضطهاد الاجنبى او للسعى لتوحيد البلاد ان يشكل السبب المباشر للثورة البرجوازية . ولكن فى هذه الحالات ايضا تلعب الدور الحاسم عادة الحاجة الملحة الى ازالة النظام الاقطاعى او مخلفاته . ومع تطور الرأسمالية يحتدم النزاع بين مصالح التطور المستقل للاقتصاد الوطنى وبين سيطرة الرأسمال الاجنبى . ويولد ذلك كفاحا معاديا للامبريالية ، يتشابك مع الصراع المعادى للاقطاعية .

وكان لثورة ١٧٧٥ — ١٧٨٣ بأمريكا الشمالية طابعها الخاص بها . فقد كانت ، بمضمونها الاساسى ، حربا ثورية للشعب الامريكى ضد الانكليز ، الذين يضطهدون ويستعبدون شعوب

امريكا ، كانت حربا من اجل الاستقلال ، من اجل التحرر من النير الاستعمارى . ولكن هذه الثورة كانت ، فى الوقت ذاته ، صراعا طبقيا لاصحاب المزارع والحرفيين والبرجوازية الثورية ضد الارستقراطية الاقطاعية ، وحربا لانصار الجمهورية ضد الملكية . اما النتيجة السياسية المباشرة لهذه الثورة فكان توحيد المستعمرات الانكليزية السابقة او تشكل جمهورية برجوازية جديدة ، هى الولايات المتحدة الامريكية .

واليوم تقف برجوازية البلدان الرأسمالية موقفا معاديا للتحولات الثورية ، ومضادا للثورة فى جوهره ولكن البرجوازية نفسها صارت طبقة سائدة بنتيجة الثورة ، وان كانت هذه الثورة محدودة طبقيا . وجدير بالذكر انه حتى الولايات المتحدة الامريكية ، التى تمثل الآن قلعة الرجعية العالمية ، قد حصلت على استقلالها السياسى بنتيجة حرب تحررية وطنية .

وينبغى التنويه عموما بأن البرجوازية ، التى تزعمت الثورات المعادية للنظام الاقطاعى فى القرون السابع عشر — التاسع عشر لم تتمكن

من ان تلف حولها ، لردح طويل من الزمن ، الجماهير الواسعة من الكادحين ، ذلك ان مصالحها كان لا بد ان تصطدم ، فى مرحلة معينة ، مع مصالح الجماهير .

وينبغى الاعتراف ، عند الاشارة الى محدودية الثورات البرجوازية بان الحل المتسق لمهام هذه الثورات هو ، فى نهاية المطاف ، لصالح البروليتاريا ، فمع نمو الانتاج ومركزته تتوفر الشروط الملائمة لتنظيم البروليتاريا ولنمو وعيها الطبقى ، الخ .

٢ ـ الثورات البرجوازية الديمقراطية

ان الثورات البرجوازية ، التى تشارك فيها الجماهير الشعبية مشاركة فعالة ، حتى وتطرح اثناءها مطالبها الخاصة بها ، وتترك بنضالها بصمات ديمقراطية على مجمل مجرى الثورة ، وتؤثر على نتائجها ، تسمى **ثورات برجوازية ديمقراطية** . وقد وصف لينين بالشعبية الثورات البرجوازية ، التى فيها «نهض جمهور الشعب ، اغلبيته ، فئاته الاجتماعية الأعمق و«الادنى» ،

التى سحقها الاضطهاد والاستغلال ، — نهضت بصورة مستقلة ، وتركت على مجمل مجرى الثورة بصمة مطالبها **الخاصة** ، محاولاتها **الخاصة** لبناء المجتمع الجديد على طريقتها الخاصة ، مكان النظام المطاح به» *

وبين هذه الثورات تندرج ثورة ١٧٨٩ — ١٧٩٣ الفرنسية العظمى وثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ فى روسيا وثورة شباط البرجوازية الديمقراطية عام ١٩١٧ فى روسيا .

ان البرجوازية تسعى دوما الى التضيق ، والى اقصى حد ممكن ، على مشاركة الجماهير الشعبية فى الثورة البرجوازية . واذا خرجت مبادرة الكادحين الثورية عن اطار اهداف البرجوازية فان هذه الاخيرة لا تتورع عن الاقدام على خيانة مصالح الثورة ، على القمع العسكرى للجماهير المستغلة . وعموما لم تكن البرجوازية ، فى اى وقت من الاوقات ، طبقة متسقة فى ثوريتها . فهى ، بعد ان استأثرت بثمار الثورة ،

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٣٩ .

تبحث عن التحالف مع الاقطاعيين ومع كافة القوى الرجعية بهدف قمع الجماهير الشعبية .

ومع تطور الرأسمالية ، وتشكل البروليتاريا كطبقة ، تزداد البرجوازية ابتعادا عن ثوريتها . وقد اشار لينين الى انه صار من الامور المألوفة «ميل البرجوازية لانهاء الثورة البرجوازية عند منتصف الطريق ، عند منتصف الحرية ، بمساومة مع السلطة القديمة ومع الاقطاعيين . وهذا الميل يضرب جذوره في مصالح البرجوازية الطبقية» * ..

ولكن تقييم الثورة البرجوازية الديمقراطية سيكون ناقصا واحادي الجانب اذا لم نأخذ بالحسبان الفوارق الهامة بين امكانيات هذه الثورات في عصر الرأسمالية ما قبل الاحتكارية وبعد دخولها في مرحلة الامبريالية .

ان **الامبريالية** هي المرحلة الاخيرة من تطور الرأسمالية . وتسمى بالامبريالية الرأسمالية الاحتكارية ، لان اهم سماتها هي سيطرة الاحتكارات (التجمعات الرأسمالية الضخمة) .

---

* لينين . المصدر السابق ، المجلد ١٥ ص ٢٠٦ .

ففى ظل الامبريالية يتركز الانتاج وتصريف اهم المنتجات بيد عدد قليل من الاحتكارات ، مما يتيح لها املاء شروطها وتعزيز استغلال الكادحين ، وما الى ذلك .

وفى ظل الامبريالية يصل الانتاج درجة رفيعة من اجتماعية الطابع . ولكن الصيغة الخاصة من الاستئثار الرأسمالى تبقى على حالها ، وتقف عائقا على طريق تطور القوى المنتجة . ولذا فانه فى ظل الامبريالية تحتدم كافة تناقضات الرأسمالية الى اقصى درجاتها ، ولا سيما التناقض بين العمل والرأسمال . ويزداد الاضطهاد القومى للشعوب ، وتتعمق الهوة بين البلدان الرفيعة التطور وبين اغلبية بلدان العالم الرأسمالى .

ومن السمات المميزة للامبريالية — نزعتها العسكرية ، حيث يتحمل الكادحون عبء النفقات العسكرية الباهظ . ثم ان الحروب الامبريالية ، التى تنبع من جوهر الامبريالية ، تخرب القوى المنتجة . فقد اودت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، اللتان شنهما الامبرياليون ، بحياة عشرات الملايين ، وليس هذا الا جزءا

من الدية الفظيعة ، التى تدفعها البشرية للامبريالية .

ان زحف الامبريالية يحدث تغييرا هاما فى موازين القوى فى المجتمع . وفى بنية القوى المحركة للثورات البرجوازية الديمقراطية تجرى تحولات جذرية .

وفى عصر الامبريالية تتحول برجوازية البلدان الرأسمالية المتطورة الى هذا الحد او ذاك ، وبسبب الخوف من البروليتاريا التى تهدد سيطرتها ، الى قوة مضادة للثورة .

اما البروليتاريا ، التى تنمو كمّا وفكرا والتى تنتظم فى حزب سياسى مستقل ، فيغدو بوسعها ان تنتزع الثورة وتقودها .

وقد سبق لتجربة ثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ الشعبية فى روسيا ان بينت ان الامبريالية البرجوازية تشغل موقعا معاديا للثورة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية . فالبروليتاريا والفلاحون يشكلون القوة المحركة للثورة البرجوازية الديمقراطية . وتكون قيادة هذه الثورة للطبقة العاملة ، المعنية بالاستئصال الاكثر جذرية لبقايا الاقطاعية .

ان هيمنة البروليتاريا فى الثورة البرجوازية

الديمقراطية عصر الامبريالية تتيح امكانية تناميها الى ثورة اشتراكية .

فقد سبق لماركس وانجلس فى الاربعينات من العقد الماضى طرح الموضوعة القائلة بانه فى البلدان ، التى تأخر فيها تحقيق التحولات الديمقراطية ، وأفلحت العلاقات الرأسمالية فى التطور ، يمكن الانتقال مباشرة من التحولات الديمقراطية الى التحولات الاشتراكية ، وذلك عبر الثورة المستمرة . ففى عام ١٨٤٨ سلم ماركس وانجلس بامكانية صيرورة الثورة البرجوازية الديمقراطية فى المانيا الى ثورة اشتراكية . وكانا يربطان انتصار الثورة الاشتراكية بتأييدها من قبل «الجوقة الفلاحية» ، التى بدونها لا بد للصوت البروليتارى الاحادى من «**ان يتحول الى اغنية التم**» * .

وفى عصر الامبريالية لا يغدو تواصل تنامى الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية امرا ممكنا فحسب بل وضروريا ايضا .

* انظر : ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٨ ، ص ٦٠٧ .

وبالاستناد الى افكار مؤسسى الاشتراكية العلمية وضع لينين نظرية متكاملة فى تنامى الثـــورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وصاغ مبادئ تطبيقها العملى فى نشاط الطبقة العاملة وطليعتها الثورية .

وقد خلص لينين الى الاستنتاج التالى : «من الثورة الديمقراطية نشرع الآن بالانتقال ، على قدر قوتنا ، قوة البروليتاريا الواعية والمنظمة ، الى الثورة الاشتراكية . اننا نناضل من اجل الثورة المستمرة ولن نتوقف فى منتصف الطريق» * .

ومن تحليل ميزان القوى الطبقية فى روسيا توصل لينين الى القول ان حليف الطبقة العاملة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية هم الفلاحون كلهم ، بكافة فئاتهم وشرائحهم ، اما فى الثورة الاشتراكية فتستند الطبقة العاملة الـــى دعم فقراء الفلاحين ، وتناضل من اجل الاطاحة بالرأسمالية بالتحالف مع الفئات نصف البروليتارية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ٢٢٢ .

فى المدينة والريف . وهنا تجمع هيمنة البروليتاريا وتربط بين مرحلتى الثورة هاتين . ثم ان تنامى الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية تنعكس فى البناء الفوقى السياسى : فدكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية التى تقام فى المرحلة الاولى من الثورة ، تتحول الى دكتاتورية البروليتاريا الاشتراكية .

فالى اى اساس تستند فكرة هيمنة البروليتاريا فى النضال من اجل الديمقراطية والاشتراكية ، وفكرة امكانية تنامى الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ؟

- ان حلفاء الطبقة العاملة يتميزون عنها بانهم يشغلون مكانة فى نسق الانتاج الاجتماعى ، تحتم ترددهم وعدم اتساقهم فى الكثير من مسائل الصراع الطبقى . وليس الا للقيادة السياسية للبروليتاريا ، التى تعبر عن المصالح الجذرية لكافة الكادحين ، ان توحد شتات الشرائح غير البروليتارية فى قوة سياسية حقيقية للثورة الاشتراكية ، وان تمنحها الثقة ، وتزودها بالروح النضالية ، وتنظم صفوفها .

ولكن ثمة جانبا آخر ، يمثل الاساس الذى عليه وحده تمكن القيادة السياسية للجماهير الفلاحية من قبل الطبقة العاملة .

فوعود البرجوازية ، التى منت بها على الفلاحين ، تبقى مجرد اوهام ، الامر الذى تزداد قناعة الفلاحين به يوما بعد يوم . اما مساعدة البروليتاريا فواقعية وملموسة . فقط بمساعدة البروليتاريا تمكن الفلاحون فى معظم البلدان من الحصول على الارض والسلام والحريات الديمقراطية . وهذه المساعدة هى اساس تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين وباقى فئات الكادحين ، وذلك تحت قيادة الطبقة العاملة . وفى هذا بالضبط يتمثل احد اهم شروط تنامى الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

الفصل الثالث

نظرية الثورات الاشتراكية وخبرتها التاريخية

١ ـــ النظرية العلمية فى الثورة الاشتراكية

اشرنا اعلاه الى ان ماركس وانجلس قدما الاثبات العلمى لحتمية هلاك الرأسمالية وانتصار الاشتراكية . وقد صاغا اسس الثورة الاشتراكية ، التى تحتفظ باهميتها حتى ايامنا .

ففى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، عندما تحولت الرأسمالية الى امبريالية ، ودخلت مرحلتها الاخيرة ، تغيرت الى حد كبير ظروف الثورة الاشتراكية . وطرحت ممارسة النضال الثورى الكثير من القضايا الجديدة . وبالاتفاق مع الظروف التاريخية المستجدة وخبرة الجماهير الثورية

ارتفع لينين بنظرية الثورة الاشتراكية الى مستوى نوعى جديد ، فطرح جملة من الموضوعات الهامة الجديدة ، وطوّر الموضوعات القديمة وجعلها اكثر ملموسية ، ونوه بتزايد واتساع الامكانيات والآفـــــاق الثورية .

وجاء مجرى العملية الثورية العالمية وواقع عصرنا ليؤكدا صحة النظرية الماركسية اللينينية فى الثورة الاشتراكية .

وقد كشف مؤسسو الماركسية اللينينية عن جوهر الفوارق الجذرية ، التى تميز الثورة الاشتراكية عن كافة الانماط السالفة من الثورات الاجتماعية .

وبين هذه الفوارق الرئيسية يأتى كون **الثورة الاشتراكية** تلغى ، والى الابد ، الملكيـــــة الخاصة لوسائل الانتاج ، وتصفى الاستغلال عامة . ففى ظل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج يقوم مالكها باستغلال اولئك الذين لا يملكون وسائل الانتاج . فكان ملاك العبيد يستأثرون بعمل الارقاء ، والاقطاعيون — بعمل الفلاحين ، والبرجوازيون — بعمل العمال وكافة الكادحين . وتعنى تصفية الملكية الخاصة لوسائل الانتاج

ونقلها الى ايدى الشعب تصفية الاستغلال والقضاء على انقسام المجتمع الى من يعمل ومن يستأثر بنتائج عمل الآخرين . وكانت كافة الثورات فى الماضى تكتفى بتغيير شكل الاستغلال ، فاستبدل الشكل العبودى من الاستغلال بالشكل الاقطاعى ، والاقطاعى — بالرأسمالى . اما الثورة الاشتراكية فتشيع الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ولذا فانها تلغى الاستغلال عامة . «فمن لا يعمل لا يأكل» — ذلك هو احد اهم مبادئ المجتمع الجديد .

ومن هنا تكون الثورة الاشتراكية اعمق انقلاب فى تاريخ البشرية . اما السمة الاخرى للثورة الاشتراكية فتقوم فى ان العلاقات الانتاجية الاشتراكية لا يمكن ان تظهر فى احشاء المجتمع الرأسمالى . ففى ظروف التشكيلة العبودية ، وفى مرحلة معينة من تطورها ، ولدت العلاقات الانتاجية الجديدة الاقطاعية ، وفى ظروف الاقطاعية الناضجة — العلاقات الانتاجية الرأسمالية . ولكن الرأسمالية لا تجهز عناصر الاشتراكية — الملكية الاشتراكية ، والعلاقات الانتاجية الاشتراكية ،

والديمقراطية الاشتراكية ، وغيرها .

ان الاصلاحيين الاشتراكيين المعاصرين يرون المقدمات المادية للاشتراكية ، «عناصر» الاشتراكية الجاهزة ، فى رأسمالية الدولة الاحتكارية ، التى يزعمون انها تغير طبيعة الرأسمالية ، وتتحول تدريجيا باتجاه النظام الاشتراكى . كما ويتبينون عادة هذه «العناصر» فى المؤسسات والفروع الاقتصادية الرأسمالية المؤممة ، والشركات المساهمة ، والتعاونيات ، ومختلف اشكال ضبط الدولة للاقتصاد ، والديمقراطية البرجوازية ، والتشريعات الاجتماعية ، والنقابات ، الخ . ولكن ليس للمؤسسات المؤممة ولا للشركات المساهمة وغيرها من الظواهر التى يستند اليها الاصلاحيون ان تمثل «عناصر» الاشتراكية ، ولا تدل على تغير جذرى فى طبيعة المجتمع الرأسمالى .

ان رأسمالية الدولة الاحتكارية تخلق المقدمات المادية للاشتراكية فى صورة جتمعة هائلة لوسائل الانتاج . ولكن ظهور المقدمات المادية للاشتراكية فى احشاء الرأسمالية لا يعنى ابدا انه فى اطار

التشكيلة الرأسمالية تولد جاهزة «صيغ» الاشتراكية و«عناصرها» . ولا يمكن للنظام الاشتراكى ان يظهر فى احشاء الرأسمالية ، لان ظهوره يرتبط بالانتقال من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الى الملكية العامة ، الاشتراكية .

وفى ظل الرأسمالية تكون وسائل الانتاج الاساسية ملكا لطبقة الرأسماليين التى لا تكون معنية بجتمعتها الاشتراكية . ولذا فان البرجوازية تعبىء فى مواجهة ذلك كافة قواها ، ولا سيما ادوات دولتها البوليسية . اما الطبقة العاملة فلها مصلحة فى جتمعة وسائل الانتاج . ولكن ليس بوسعها جتمعة وسائل الانتاج ، التى تحتكرها طبقة الرأسماليين ، الا بتحطيم مقاومة هـذه الطبقة ، وبتدمير مكنة الدولة البرجوازية ، وببسط سيطرتها السياسية — دكتاتورية البروليتاريا . ولحل هذه المهمة ثمة سبيل واحد ، هو الثورة الاشتراكية .

وهكذا فان الثورة الاشتراكية **تبدأ** باستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية ، وتستمر حتى بناء الاشتراكية . اما كافة الثورات السالفة فكانت تنتهى باستلام السلطة . وكانت الطبقة التى تصل

الى السلطة تفرض دكتاتوريتها ، فتسن التشريعات الجديدة او تمارس السياسة المواتية لتطور العلاقات الانتاجية الجديدة التى سبق تشكلها . ولذا كان الامر يقتصر على تبديل شكل الملكية الخاصة ، شكل استغلال الشعب الكادح ، وكانت تتبدل الطبقة ، التى صارت ، من الآن فصاعدا ، المستغل الرئيسى للشعب . اما الثورة الاشتراكية فتحطم جذريا اسس المجتمع القديم الاقتصادية ، وتصفى اصل الاستغلال والتفاوت الاجتماعى واضطهاد الاقلية للاغلبية الكادحة . ولهذا بالذات تبدأ الثورة الاشتراكية باستلام السلطة السياسية . وبعد الاستيلاء على زمام الحكم فقط يغدو بالامكان انتزاع الفبارك والمصانع والمؤسسات والبنوك والاراضى من طبقة الرأسماليين ، وتسليمها للشعب .

والسمة الثالثة ، المميزة للثورة الاشتراكية ، هى ان الثورة يمكن ان تنتصر اذا قادها الحزب الماركسى ، الحزب الجديد النمط ، الذى يمثل الطليعة السياسية للطبقة العاملة . فقبل زمن طويل من بدء الثورة يقوم الحزب الشيوعى ، استنادا

الى الرؤية الماركسية اللينينية العلمية ، برسم برنامج الثورة ، وبالتحديد الدقيق لمهامها الاساسية . ويعبر هذا البرنامج عن مصالح الكادحين الجذرية ، ولذا تلتف حول البروليتاريا كافة شرائح الكادحين والانتلجنسيا الطليعية . ويبين البرنامج سبيل اقامة المجتمع الجديد ووسائلها وادواتها . وبدون هذا التحديد الدقيق لهدف النضال ومهامه الملموسة ووسائله وطرقه لا يمكن للثورة الاشتراكية ان تنتصر ، ولا يمكن بناء المجتمع الجديد ، الاشتراكى . وفى ذلك يقول لينين : «بدون نظرية ثورية لا تقوم حركة ثورية» * . وثمة خصوصية هامة للثورة الاشتراكية ، ينبغى دوما على الحزب الماركسى مراعاتها فى نشاطه العملى ، هى انه فى مجرى تطور الثورة يتم **تحطيم الدولة البرجوازية** . فان كافة الثورات السالفة ، التى كانت تؤدى فى نهاية المطاف الى استلام السلطة من قبل طبقة جديدة من الاستغلاليين ، كانت تقتصر على تحسين مكنة الدولة السابقة . وكانت الطبقة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٦ ، ص ٢٤ .

الجديدة تكيف هذه المكنة مع مصالحها الذاتية ، وتستخدمها اداة لتوطيد النظام الاستغلالى الجديد . اما فى الثورة الاشتراكية ، التى تحل مهام مغايرة تماما لمهام الثورات السالفة ، فيجرى تحطيم الدولة البرجوازية وتقام دولة جديدة ، اشتراكية ، تنفذ **دكتاتورية البروليتاريا** ، التى تهدف الى بناء الاشتراكية .

وقد اكد انجلس فى «مبادئ الشيوعية» ان الثورة تقيم ، على نحو مباشر او غير مباشر ، السيطرة السياسية للبروليتاريا ، التى تستخدم هذه السيطرة فورا كأداة لتنفيذ اجراءات واسعة ، تتناول الملكية الخاصة مباشرة ، وتؤمن اسباب وجود البروليتاريا . ثم تطورت هذه النظرة فى «بؤس الفلسفة» وفى «بيان الحزب الشيوعى» ، حيث عبر عن فكرة دكتاتورية البروليتاريا بعبارة «البروليتاريا ، المنظمة كطبقة مسيطرة» ، وحيث حددت المهام الاساسية التى ينبغى عليها تحقيقها * . واخيرا ، جاء ماركس فى «نقد

* انظر : ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٦ .

برنامج غوته» لينوه خاصة بأنه «بين المجتمعين الرأسمالي والشيوعي تقوم مرحلة من التحويل الثوري للاول الى الثاني . وتوافق هذه المرحلة مرحلة سياسية انتقالية ، لا يمكن ان تكون الدولة فيها الا **الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا**» * .

وان لموضوعة كلاسيكيي الماركسية اللينينية هذه ، ولنضالهم ضد الانتهازية فيما يخص مسألة دكتاتورية البروليتاريا ، اهميتهما الملحة في ايامنا ايضا . فمن الشروط الاساسية لنجاح الثورة الاشتراكية في الظروف المعاصرة يأتي تحطيم الدولة البرجوازية واقامة دكتاتورية البروليتاريا .

وقد قدم لينين صياغة موجزة لجوهر سلطة الكادحين ، التي تولد في مجرى الثورة ، واكد ان دكتاتورية البروليتاريا تعني ان ثمة طبقة معنية ، هي العمال الصناعيون ، بوسعها قيادة مجمل جمهور الكادحين والمستغلين في النضال من اجل خلع نير الرأسمال ، وفي مجرى الخلع نفسه ، وفي النضال من أجل الحفاظ على النصر

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١٩ ، ص ٢٧ .

وتوطيده ، وفى بناء صرح النظام الجديد ، الاشتراكى ، فى مجمل النضال من اجل التصفية التامة للرأسمالية .

ومن هنا يلزم ان لدكتاتورية البروليتاريا جانبين رئيسيين . واول هذين الجانبين هو ضمان انتصار الثورة ، وقمع مقاومة الطبقات المعادية ، ولكن لينين تحدث مرارا عن ان العنف لا يستنفد وظيفة دكتاتورية البروليتاريا ، حتى ولا يشكل مضمونها الرئيسى . فهذا المضمون الرئيسى يتمثل فى الجانب الثانى من دكتاتورية البروليتاريا ، الا وهو القيادة السياسية للكادحين بقصد بناء المجتمع الجديد . وهذه الوظيفة البناءة تشكل الامر الاساسى والرئيسى فى نشاطها . وتدل جليا على ذلك ممارسة الدول الاشتراكية ، التى استطاعت خلال فترة تاريخية قصيرة القيام بتحولات عظيمة حقا فى حياة شعوبها .

وفى ظروف الثورة الاشتراكية لا تكون الجماهير الكادحة مجرد قوة ، تطيح بالنظام الاجتماعى القديم ، بل وتكون قوة ، تخلق الاقتصاد الجديد ، والعلاقات الاجتماعية الجديدة ،

والدولة الاشتراكية . وقد اشار لينين الى ان الثورة الاشتراكية «لا يمكن ان تتحقق بنجاح الا فى ظل الابداع التاريخى المستقل لاغلبية السكان ، لاغلبية الكادحين فى المقام الاول» * . فقط فى ظروف دكتاتورية البروليتاريا يمكن للشعب المنتصر ان يمضى الى النهاية فى حل المهام الديمقراطية ، وفى اجراء تغيرات جذرية فى الاقتصاد ، وفى التحوير العميق للعلاقات الاجتماعية ، مما يعنى ، فى نهاية المطاف ، تصفية الطبقات الاستغلالية والقيام بتغيرات جذرية فى بنية المجتمع الطبقية .

ان دكتاتورية البروليتاريا هى دولة المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولكن الدكتاتورية بالنسبة للطبقة العاملة ليست هدفا بحد ذاته ، وانما هى اهم ادوات بناء المجتمع الاشتراكى .

فان بناء الاشتراكية يستدعى تغير مهام ووظائف واشكال واساليب نشاط سلطة الطبقة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٧١ .

العاملة . فمع تصفية الطبقات الاستغلالية تحتضر وظيفة قمع مقاومتها . وتبدأ عملية تنامى دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة عامة الشعب (دولة الشعب بأسره) . وفى الاتحاد السوفييتى تحولت دولة دكتاتورية البروليتاريا الى الدولة الاشتراكية لعامة الشعب ، وتحولت الديمقراطية البروليتارية الى الديمقراطية الاشتراكية للشعب بأسره . وقد جاء فى دستور الاتحاد السوفييتى : «وبعد ان حققت الدولة السوفييتية مهمات دكتاتورية البروليتاريا اصبحت دولة الشعب بأسره» * .

وبين اسهامات لينين الهامة فى تطوير النظرية الماركسية عن الثورة الاشتراكية يأتى استنتاجه حول امكانية انتصار الاشتراكية فى بلد واحد اول الامر .

كان ماركس وانجلس قد خلصا من دراستهما لقانونيات تطور الرأسمالية ما قبل الاحتكارية الى القول ان الثورة البروليتارية فى هذه الظروف

---

* دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية (القانون الاساسى) . دار التقدم . موسكو ، ١٩٨٧ ، ص ٤ .

يمكن ان تنتصر ، خلال حقبة معينة من الزمن ، في كافة البلدان المتطورة او في معظمها . وآنذاك كان تطور الرأسمالية يسير في خط صاعد ، ولم يكن العالم قد تقسّم نهائيا بعد . ولكن حتى في ذلك الحين كانت البلدان الرأسمالية تتطور على نحو غير متكافئ . ولكن عدم التكافؤ هذا كان مجرد نزعة ، ولم يكن قد ادى بعد الى نزاعات حادة . وكانت التناقضات بين البلدان الرأسمالية ، وكذلك بين المستعمرات والمتروبولات ، ضعيفة التطور . ولذا كان يترتب على البروليتاريا التي ستقوم بالثورة ان تتصدى للبرجوازية المتحدة من كافة البلدان او من معظمها .

وكان نضال العمال ضد البرجوازية في فترة كومونة باريس مثالا على ذلك . ففي ذلك الحين كانت البروليتاريا في عدد من البلدان ، وبينها روسيا ، لا تزال في بداية تشكلها ، وفي انكلترا وفرنسا كان يعوزها التنظيم الكافي . ولم يكن لدى البروليتاريا حلفاء ، من شأنهم دعم كفاحها ضد الطبقات السائدة . ولم يكن

بوسع البروليتاريا آنذاك معارضة اتحاد البرجوازية بالوحدة العمالية ، وذلك بسبب عدم نضج الحركة الشيوعية العالمية ونقص تنظيمها ، وغياب الاحزاب الشيوعية الجماهيرية حقا . ومن الجلى ان التحرك المشترك المكشوف لبروليتاريا كافة البلدان كان وحده القادر على التعويض عن ضعف بروليتاريا كل بلد على حدة . ولذا كتب ماركس وانجلس فى «بيان الحزب الشيوعى» ان التحركات المشتركة لبروليتاريي البلدان المتحضرة على الاقل كانت فى تلك الفترة التاريخية ــ احد الشروط التمهيدية الاساسية لتحرر البروليتاريا * . وجاءت كومونة باريس عام ١٨٧١ لتؤكد صحة استنتاج ماركس وانجلس هذا .

وقد قام لينين بدراسة عميقة للمرحلة التاريخية الجديدة ، فطور آراء ماركس وانجلس ، وبين ان منظومة الرأسمالية كلها صارت ناضجة الآن للانقلاب الاشتراكى . فقد ذهب فى مؤلف «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» الى انه فى

---

* انظر : ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٤ .

كافة البلدان الرأسمالية تتوفر الآن الارضية الاقتصادية للثورة البروليتارية : كفت العلاقات الرأسمالية الانتاجية عن التوافق مع طابع ومستوى تطور القوى المنتجة ، وظهرت الحاجة الى استبدالها بالعلاقات الانتاجية الاشتراكية .

وفي الوقت ذاته برهن لينين على ان عدم التكافؤ في نمو جبروت الفئات الصناعية والمصرفية ، وفي تطور البلدان الرأسمالية ، يستدعي ايضا تغير التناسب بين قواها الاقتصادية والسياسية . ففي ظروف انقسام العالم كله بين الدول الامبريالية الكبرى يؤدي عدم التكافؤ هذا الى التصارع من اجل اعادة تقاسم العالم : المستعمرات ومناطق النفوذ وغيرها . وفي هذه الظروف تحتدم التناقضات بين البلدان الرأسمالية ، وتصل الى اقصى حدودها ، وتؤدي الصدامات الحادة بين الاحتكارات الى حروب امبريالية ، تضعف مواقع الامبريالية ، كذلك يتعزز عدم التكافؤ في التطور السياسي لمختلف البلدان (اختلاف اوضاع الطبقات ، طابع وحدة التناقضات الطبقية في البلد المعنى ، مستوى تطور الصراع الطبقي ، الخ .) . وهنا اكد

لينين ان مستوى تطور القوى المنتجة لا يشترط بحد ذاته مستوى تطور الصراع الطبقي . فبرجوازية البلدان الرأسمالية المتطورة ، التى تحصل على اكبر قدر من الارباح ، تستطيع استخدامها ، بالاساليب المباشرة وغير المباشرة ، من اجل رشوة بعض الفئات العمالية ، ومن اجل شق صفوف الطبقة العاملة واضعاف ثوريتها .

وبفعل قانون عدم التكافؤ فى التطور قد تنضج الظروف ، الضرورية للثورة ، فى بلد من البلدان الرأسمالية قبل غيره ، فيغدو هذا البلد «الحلقة الضعيفة فى سلسلة الامبريالية» ، وقد قطعت هذه الحلقة بنتيجة انتصار الثورة البروليتارية .

وهكذا توصل لينين ، فى ضوء دراسة الظروف التاريخية للامبريالية ، الى استنتاج هام جديد ، يقول بامكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد ، مأخوذ بمفرده .

وقد اعطى لينين صياغة دقيقة لاستنتاجه هذا فى مؤلف «حول شعار الولايات المتحدة الاوروبية» ، حيث اشار الى ان عدم التكافؤ فى التطور الاقتصادى والسياسى هو قانون مطلق

من قوانين الرأسمالية . ومن هنا تنتج امكانية انتصار الاشتراكية ، بادئ ذى بدء ، فى بعض البلدان او حتى فى بلد واحد * .

وفيما بعد خلص لينين الى القول انه لا يمكن للاشتراكية ان تنتصر فى كافة البلدان دفعة واحدة . وهنا صار الحديث يدور لا عن امكانية انتصار الاشتراكية اول الامر فى بلد واحد ، بل وعن ضرورة ذلك .

فما هى المقدمات المادية للثورة الاشتراكية التى تشكل **اساسها الاقتصادى** ؟

انها تتمثل فى النزاع بين القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية فى اطار اسلوب الانتاج الرأسمالى .

فالانتاج الرأسمالى انتاج اجتماعى عام . فقاعدته الاساسية هى المؤسسات الكبيرة والضخمة . وهو يتميز بجتمعة للعمل ، لم يشهد التاريخ نظيرا لها من قبل . وتتطور الرأسمالية على ارضية تكثيف الانتاج ومركزته ، على ارضية التخصص

---

* انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٣٥٤ .

والتعاون ليس فقط بين بعض المؤسسات المنفردة ، بل وبين فروع كاملة من الاقتصاد . وهى تقوم بتوحيد عمليات الانتاج المجزأة والصغيرة والمنعزلة وصهرها فى مجمع اقتصادى موحد . وفى ظل الرأسمالية تخرج المؤسسات المنفردة عن عزلتها ، وتتحول الى حلقات متماسكة من عضوية اقتصادية واحدة . وتغدو كل منها مرتبطة بمؤسسات كثيرة غيرها . وخارج هذا الارتباط ليس بوسع المؤسسة الرأسمالية ان تنتج ، ولا ان تصرف منتوجها فى السوق .

وفى ظروف الرأسمالية لا بد للشكل الاجتماعى من الانتاج ان يتناقض مع الشكل الخاص من الاستثثار . فالمؤسسات الرأسمالية ، ايا كانت ، هى ملكية خاصة (ملكية فرد ، او جماعة من الافراد ، كما هو الحال فى الشركات المساهمة) .

وفى ذلك يقول لينين : «ان الرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية تصل حتى الجتمعة الشاملة للانتاج ، فتجر الرأسماليين ، اذا صح التعبير ، وبرغم ارادتهم ووعيهم ، الى نظام اجتماعى جديد ، يتوسط بين حرية المنافسة

الكاملة وبين الجتمعة التامة» * . وتسعى الرأسمالية للتكيف مع الظروف المستجدة ، وتبحث عن صيغ جديدة لسيطرتها ، وتغير ألوانها . ولكن هذا كله لا يبطل تناقض الرأسمالية الاساسى .

ثم ان جتمعة القوى المنتجة تحفز التطور اللاحق لرأسمالية الدولة الاحتكارية ، التى تجمع بين جبروت الاحتكارات وجبروت الدولة البرجوازية ، دفاعا عن النظام الرأسمالى .

ويزداد تنوع اشكال تأثير الدولة البرجوازية على اقتصاد البلاد ، وتتوسع ملكيتها لوسائل الانتاج ، وتحاول الدولة ضبط تطور الاقتصاد على نطاق البلاد . ومن المعروف انه فى عدد من البلدان الرأسمالية اقيمت مختلف الاجهزة واللجان المعنية بـ«التخطيط» و«البرمجة» ، الخ . ومع ذلك ، فان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج تحول دون التطور الشامل للقوى المنتجة ، وتعوق تقدمها ، وتستثنى امكانية تخطيط الانتاج على نطاق الوطن ككل . فلا يغدو تخطيط الاقتصاد ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

الادارة المركزية له ، امرا ممكنا الا باقامة الملكية العامة الاشتراكية .

وفى ظل الحفاظ على الملكية الخاصة تبقى الازمات وانخفاض معدلات الانتاج والتضخم النقدى ظواهر ملازمة للرأسمالية . وتغدو الرأسمالية ابعد فابعد عن الاستقرار . وتتعزز النزعة العسكرية . وترى البرجوازية المخرج فى اقامة التحالفات الاقتصادية بين مختلف البلدان ، فى «التكامل الاقتصادى» ، عقد التجمعات السياسية . هذا من جهة . ومن جهة اخرى تسعى البرجوازية للتخفيف من حدة التناقضات بعسكرة الاقتصاد والتحضير لحرب عالمية جديدة .

ان العسكرية المعاصرة ليست مجرد حروب ونزاعات مسلحة ، بل واعداد مكثف للحروب ، يتجسد فى التزايد المطرد للنفقات الهائلة على الابحاث العلمية فى الميدان العسكرى ، وعلى صنع الاسلحة واعاشة جهاز عسكرى ضخم وقوات مسلحة كبيرة ، الخ .

واذا كان اجمالى النفقات على الاحتياجات العسكرية فى الولايات المتحدة الامريكية فى

الاعوام ١٩٤٩ — ١٩٨٠ يشكل ٢ تريليون من الدولارات ، اى بمعدل ٦٢ مليار دولار فى السنة ، فان هذا المعدل صار ، منذ عام ١٩٨١ ، يزيد على ١٥٠ مليار ، وفى عام ١٩٨٢ — ٢٠٠ مليار . وتنوى السلطات الامريكية ان تنفق على الاحتياجات العسكرية فى السنين الخمس القادمة ما بين ١,٥ — ٢,٢٥ تريليون دولار (تبعا لمختلف التقديرات) . ولكى يتصور المرء ضخامة هذا المقدار يمكن القول انه يزيد بـ ٤ مرات على الناتج الوطنى الاجمالى السنوى لكافة بلدان امريكا اللاتينية ، وبـ٩ مرات — عليه فى كافة بلدان القارة الافريقية .

ومن الجلى ان هذه الظراهر فى تطور الاقتصاد تقوم وراء التناقضات القائمة سواء داخل البلدان الرأسمالية كلا على حدة ، او فيما بينها . اما البطالة واضرابات العمال والموظفين والتظاهرات الجماهيرية المنقطعة النظير فتأتى كلها تجليا للتناقضات العميقة فى النظام الرأسمالى .

واحتدمت التناقضات بين العمل والرأسمال ، بين الاحتكارات والشعب ، بين كبريات الدول

الامبريالية ، بين الدول الامبريالية والدول المستعمرة والتابعة .

وعليه ، فان الرأسمالية قد وفرت المقدمات المادية الضرورية للانتقال الى الاشتراكية . وفي ذلك كتب لينين يقول : ان التنظيم الاشتراكي للمجتمع لا يغدو ممكنا «الا عندما تكون مقدماته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية الاساسية ، قد خلقتها الرأسمالية بدرجة كافية» * . وقد كانت لهذا الاستنتاج ، ولا تزال ، اهميـة كبيرة ، نظرية وعملية .

ان المخرج الوحيد من الازمة القائمة هو التحطيم الجذري للعلاقات الانتاجية ، واستبدالها بالعلاقات الاشتراكية . وقد سبق للينين في حينه الاشارة الى ان التطور ممكن فقط الى الامام ، «فقط نحو المجتمع **الاشتراكي** ، نحو **الثورة الاشتراكية**» ** .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٣ .

ولكن القيام بالثورة الاشتراكية ، كأية ثورة ، يتطلب ، فضلا عن توفر المقدمات المادية ، اى عدم توافق العلاقات الانتاجية مع طابع ومستوى تطور القوى المنتجة ، وجود الحالة الثورية . وفى مفهوم «الحلقة الضعيفة» فى السلسلة الامبريالية يدرج لينين ايضا توفر شرط هام ، ضرورى للثورة ، هو الحالة الثورية .

واستنادا الى النظرية الماركسية عن الثورة بين لينين مضمون الحالة الثورية بوصفها جملة الظروف الموضوعية اللازمة للبدء بالثورة الاشتراكية وانتصارها . وهنا لفت لينين الانتباه الى سمات هامة للحالة الثورية ، منها تذبذب الحكومة ، وتزايد فعالية الجماهير . وكان يؤكد ان على البروليتاريا اختيار لحظة التحرك ، التى يتجلى فيها «احدّ اليأس الحكومى» و«اقوى الهيجان الشعبى» .

واكد لينين مرارا ان الجماهير ، التى تعانى من فاقات اقتصادية جدية ، هى التى تستطيع القيام بالثورة . فكيف ينبغى فهم هذا القول ؟ يقصد لينين ، فى المقام الاول ، الفاقة

الاقتصادية للبروليتاريا العاملة فى الانتاج . انه العوز ، وعدم الثقة بالمستقبل ، وتردى الوضع الاقتصادى بالمقارنة مع المرحلة السالفة . ولكن الحديث يمكن ان يدور ، ويجب ان يدور ، عن ان بعض فئات الكادحين تعيش فى ظروف بائسة : خلال ردح طويل من الزمن لا يجدون عملا ، ويفقدون كفاءتهم ، ويجوعون ، ويفتقرون الى ظروف السكن المقبولة . وان السلطات الرسمية فى الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وفرنسا وبلدان رأسمالية متطورة غيرها قد اعترفت مرارا بان جزءا ملحوظا من الكادحين فى بلدانها يعيشون معيشة بائسة .

ان الولايات المتحدة الامريكية بلد رأسمالى متطور وغنى . وهنا يبرز على اشده التباين بين مستوى تطور الانتاج وغنى البرجوازية وبين بؤس ملايين الكادحين فيها . فتشير المعطيات الرسمية الى انه فى «مستوى الفقر» يتواجد فيها دوما حوالى ١٣ بالمئة من اجمالى سكان البلاد ، اى ما يقارب ٢٥ مليون شخص . ويتعرض الزنوج والمكسيكيون والبويرتوريكانيون والهنود الحمر

وغيرهم من الامريكان من غير البيض الى استغلال فظيع . ويذكر أ . سيمون ، أسقف احدى الكنائس اللوثرية الامريكية ، فى كتابه «اقتسام الخبز مع الجياع» الى انه في الولايات المتحدة يرقد يوميا الى النوم ١٤ مليون امريكى وهم جائعون . «فبرامج مساعدة الجائعين القائمة فى البلاد لا تشمل الا ١٨ بالمئة من المعوزين . اما الحل الناجع للمشكلة فليس فى الاعمال الخيرية ، وانما هو فى تأمين العمل ذى الدخل المضمون . ولكن هذا هو ما لا تستطيع الرأسمالية تأمينه . فالبطالة تعتبر شيئا عاديا ، حتى وجانبا نافعا من «نظام الاقتصاد الحر» .

ان الواقع يدحض كل الدحض مزاعم الايديولوجيين البرجوازيين والتحريفيين حول المستوى الرفيع لحياة الجماهير الكادحة فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، بحيث يتعذر هنا قيام أية تحركات ثورية للكادحين . فقد سبق لانجلس فى حينه الاشارة الى ان تنظيم العمال وتنامى مقاومتهم لزحف الرأسمالية سيقيمان ، قدر الامكان ، حواجز على الطريق نحو البؤس . ولكن مما لا

شك فيه ان العوز يزداد . وينبغي التأكيد ان احتياجات الكادحين الاقتصادية وشروط حياتهم المادية تشكل احد العوامل التى تستدعى تعزيز تحرك الجماهير ضد الاحتكارات . وفى الوقت ذاته ، فكلما اشتد ضغط البرجوازية على الجماهير الكادحة ركضا وراء مزيد من الارباح يزداد نمو استياء الشعب من ظروف الحياة القائمة ، ومن سياسة الطبقات السائدة ، ويشتد «الاختمار» ، الذى ينصب ، فى اللحظات الحرجة بالنسبة للحكومة ، فى مختلف اشكال الاحتجاج الجماهيرى .

ومن المعروف ان القانون الاساسى فى كل ثورة ، بما فيها الثورة الاشتراكية ، هو توفر الظروف الموضوعية والعامل الذاتى معا ، ويولى لينين عناية خاصة لتحليل العامل الذاتى فى الثورة الاشتراكية ، بنيته وترابط كافة عناصره الاساسية .

كان ماركس وانجلس قد كشفا عن الرسالة التاريخية الجليلة التى تضطلع بها البروليتاريا . وقد برهنا على ان البروليتاريا هى العنصر الرئيسى فى القوى المنتجة الجديدة . فتطور الانتاج الرأسمالى يشترط نموها وتمركزها . والبروليتاريا

هى التى تصنع الثروات المادية الاساسية .
وهذه الطبقة العملاقة تحمل المجتمع الرأسمالى على اكتافها . ومع ذلك فهى الطبقة الأكثر عرضة للاستغلال ، فلا تملك اية وسائل انتاج .

وفى ظروف الرأسمالية المعاصرة يتعزز استغلال الطبقة العاملة . ثم يأتى التردى فى ظروف العمل ، وزيادة معدلات الاستغلال ، والافقار النسبـى ، واحتدام التناقض بين العمل والرأسمال ، فتؤدى الى تطوير نضال البروليتاريا الطبقـــى وتنشيط الحركة الاضرابية . ولذا فان البروليتاريا معنية بصورة حيوية بتصفية الملكية الخاصـة لوسائل الانتاج . فكل ما ينتجه البروليتاريون ، والكادحون عموما ، يجب ان يكون ملكا لهم . ولكن هذا لا يمكن تحقيقه الا فى حال اقامة الملكية العامة لوسائل الانتاج . ويعنى هذا ان المصلحة الاساسية والجذرية للبروليتاريا تقوم فى القضاء على الاستغلال وتحرير كافة الكادحين من الاضطهاد الاجتماعى والقومى . تلك هى المصلحة الجذرية والعامة لبروليتاريـى كافة البلدان ، والارضية الموضوعية لتعاضدهم ، لامميتهم .

ومن جهة اخرى لا تستطيع البروليتاريا تحرير نفسها الا اذا حررت كل الكادحين من الاستغلال ، ولذا تجمع حولها كافة شرائح المجتمع ، التى تتعرض ، على نحو او آخر ، وبهذه الدرجة او تلك ، الى اضطهاد الرأسمالية . فكلما قويت هجمة البرجوازية على الحقوق الاقتصادية والسياسية للسكان الكادحين ازداد التفاف الجماهير الكادحة حول البروليتاريا . وبهذا بالضبط تتحدد قوة البروليتاريا فى ظروف المجتمع الرأسمالى . وبهذا الصدد يقول لينين : وان قوة البروليتاريا فى اى بلد رأسمالى اكبر بكثير من نسبة البروليتاريا فى التعداد الاجمالى للسكان . وهذا يعود الى ان البروليتاريا تسيطر اقتصاديا على مركز وعصب مجمل المنظومة الاقتصادية للرأسمالية ، ولان البروليتاريا تعبر ، اقتصاديا وسياسيا ، عن المصالح الفعلية للاغلبية العظمى من الكادحين فى ظل الرأسمالية» * .

وطبيعى ان البروليتاريا لم تظهر فورا كقوة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٢٣ .

سياسية مستقلة . وقد اشار ماركس وانجلس فى «بيان الحزب الشيوعى» الى ان البروليتاريا فى العهود الاولى من وجود الرأسمالية كانت «طبقة فى ذاتها» ، فلم تكن تدرك مصالحها الخاصة ، وكانت تناضل ، اول الأمر ، لا ضد البرجوازية ، بل ضد «اعداء اعدائها» * .

«فان المسألة ، كما يقول ماركس وانجلس ، لا تكمن فيم **يرى** هدفه فى اللحظة المعنية هذا البروليتارى او ذاك او حتى البروليتاريا كلها . ان المسألة تكمن **فى ما تكون عليه البروليتاريا فى الحقيقة** ، وماذا يترتب عليها تاريخيا فعله بالاتفاق مع **وجودها** هذا» ** .

وبالفعل ، فان وضع البروليتاريا فى منظومة الانتاج ، وجودها ، يحدد تطورها ، ونضالها ضد النظام الاقتصادى والسياسى القائم فى المجتمع الرأسمالى . فتظهر التنظيمات النقابية البروليتارية (النقابات ، التجمعات السياسية ، تنظيمات

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٣٢ .

** المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٠ .

البروليتاريا) . وبفضل النشاط الفعال لاحزاب البروليتاريا الماركسية المتشكلة ، وتربية الطبقة بروح الرؤية الثورية العلمية ، تتحول البروليتاريا من «طبقة فى ذاتها» الى «طبقة من اجل ذاتها» .

ان الرسالة التاريخية الجليلة للبروليتاريا ، كما برهن ماركس وانجلس ، كانت ، ولا تزال ، تقوم فى تحرير البشرية كلها من الاستغلال والحروب ، من التناحرات الطبقية والقومية . فقد بينا انه فقط بقيادة البروليتاريا يمكن اقامة مجتمع العدالة الاجتماعية ، الذى يضمن لكل انسان كافة الظروف الضرورية من اجل التطور الشامل .

ان قوة البروليتاريا تتوقف على ما اذا كان بوسعها ان توحد السكان العاملين ، وان تقيم تحالفا وثيقا معهم ، وكيف تمارس دورها القيادى فى هذا التحالف ، وما هى السياسة التى تنتهجها ومدى اتساقها فى تنفيذها ، وما هى النظرية التى تهتدى بها .

وفى الوقت الحاضر ازداد بصورة ملحوظة تعداد الطبقة العاملة وتعاظمت قوتها . فاذا كانت

البروليتاريا فى اواسط القرن التاسع عشر لا توجد الا فى بضعة بلدان فى اوروبا وامريكا الشمالية فانه يكاد لا توجد اليوم دولة الا وفيها طبقة عاملة . وفى البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا تشكل الطبقة العاملة اغلبية السكان القادرين على العمل .

ثم ان تزايد دور الطبقة العاملة فى العالم المعاصر لا يرتبط فقط بنمو صفوفها ، بل وبالتغيرات النوعية العميقة الجارية فيها . فالثورة العلمية التكنيكية ، التى ولدت تغيرات بنيوية فى الطبقة العاملة (ظهور مهن عمالية جديدة ، وازدياد الوزن النوعى للعمل الذهنى فى عملها والخ .) ، تؤدى الى ارتفاع مستوى تحصيلها وكفاءتها . وتوفر هذه العمليات المقدمات الملائمة لتزايد تنظيم الطبقة العاملة ووعيها .

وتتميز البلدان الرأسمالية باقتراب وضع قسم ملحوظ من الموظفين الصغار والتجاريين ومن العاملين الفنيين والمهندسين من وضع البروليتاريا . فهم ، كالطبقة العاملة ، يتعرضون للاستغلال الرأسمالى . ويفقد معظم العاملين الفنيين والمهندسين

امتيازاتهم الاجتماعية ، وليس وضعهم المادى احسن بكثير من وضع العمال المؤهلين . ويوسع هذا كله الامكانيات لاقامة اتحادات طبقية عريضة ، ولتعزيز نضال الطبقة العاملة من اجل مصالحها .

وتشكل البرجوازية الصغيرة قسما ملحوظا من سكان البلدان الرأسمالية . وهى ، من جهة ، مالكة لوسائل الانتاج ، ولكنها كادحة ، من جهة اخرى . ولذا فانها تتميز بالتذبذب بين البرجوازية ، المالكة لوسائل الانتاج ، وبين البروليتاريا ، المحرومة منها . ويستدعى تطور الرأسمالية افلاس قسم كبير من البرجوازية الصغيرة ، يرفد صفوف البروليتاريا . ثم ان ظروف العمل والمعيشة تقرب البرجوازية الصغيرة من البروليتاريا . ومن وحدة مصالح الكادحين تنبع امكانية وضرورة تحالف الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة . ولكن بما ان البرجوازية الصغيرة غير متسقة بسبب وضعها المزدوج ، فان الدور القيادى فى هذا التحالف يجب ان يكون للطبقة العاملة .

وان سياسة الطبقة السائدة ، الرامية الى

تعزيز درجة استغلال الكادحين ، تقوم وراء امكانية وضرورة توطيد تحالف البروليتاريا مع كافة كادحى البلاد ، ولا شك فى ان الكثير من الامور هنا يتوقف على مدى مراعاة البروليتاريا وحزبها للمصالح الخاصة لمختلف شرائح الكادحين .

وفى الظروف المعاصرة تتعزز الامكانية الثورية للطبقة العاملة ، التى تختلف اختلافا ملحوظا عن بروليتاريا القرن الماضى ومطلع القرن الحالى . ثم ان احتدام تناقضات الرأسمالية ينعكس مباشرة فى تطور الصراع الطبقى . فالمعدل السنوى للمشاركين فى الاضرابات وغيرها من اعمال الاحتجاج الاجتماعى السياسى الجماهيرى فى البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا شكل فى السبعينات ٥٠ مليون شخص ، وفى اعوام ١٩٨٠ — ١٩٨٥ شكل ٣٤٠ مليون شخص .

ومع ذلك يترتب على الطبقة العاملة بالبلدان الرأسمالية الاصطدام بصعوبات ومشكلات جدية . وسيكون من الخطأ تصور نمو وعيها وتنظيمها وكأنه يسير فى خط صاعد ابدا . فوتائره تختلف

من بلد الى آخر ، ومن مرحلة الى اخرى . وذلك ان الطبقة العاملة تتأثر الى حد كبير بالايديولوجية البرجوازية السائدة وبالدعاية المعادية للشيوعية وبالافكار الاصلاحية حول امكانية «التحسن» التدريجى للرأسمالية . ولذا تكون بعض فصائل الطبقة العاملة غير فعالة سياسيا بعد ، وغير متسقة فى مواقفها الطبقية .

ان توطيد تحالف البروليتاريا مع الشرائح غير البروليتارية يتوقف ، الى حد كبير ، على درجة احتدام التناقضات ، وعلى تكتيك الاحزاب الشيوعية واستراتيجيتها . فان انقسام الطبقة العاملة ، وغياب وحدة صفوفها ، وافتقاد التحالف المتين مع الكادحين ، هى من مؤشرات ضعف البروليتاريا .

ومن العناصر الحاسمة فى العامل الذاتى للثورة الاشتراكية يأتى الحزب الماركسى — المنظم والقائد السياسى للطبقة العاملة . وقد اشار ماركس وانجلس الى انه ليس بوسع الطبقة العاملة ان تذود عن مصالحها الا اذا تنظمت فى حزب سياسى مستقل ، يقابل الاحزاب الاخرى كلها .

وقد بذلا الكثير من الجهود من اجل تنظيم الاحزاب العمالية وتطويرها ، وخاضا نضالا نشيطا ضد العناصر الانتهازية .

وبالاستناد الى المبادئ التى صاغها ماركس وانجلس طور لينين مذهبهما عن الحزب ، آخذا بالاعتبار المستوى الجديد لتطور المجتمع . فالحزب ، كما بين لينين ، نتاج الحركة العمالية ، وحامل النظرية الثورية . ورؤية العالم العلمية تصاغ من زاوية الطبقة العاملة على ايدى رجالات العمل الذهنى ، ثم يدخلها الحزب الى الحركة العمالية . والحزب هو الذى يرسم الاهداف البرنامجية لحركة البروليتاريا الثورية ، وهو التنظيم السياسى الكفاحى ، الذى يعمل لاجتذاب البروليتاريا كلها ، الكادحين كلهم ، الى النضال الثورى . ويحدد الحزب خصوصيات كل مرحلة من العملية الثورية ، ويدرس الظواهر المستجدة فى تطور المجتمع ، ليبين للجماهير المهام الملموسة التى يترتب عليها حلها ، ويساعدها على التعلم من تجربتها الذاتية .

وفى ذلك يقول لينين : «ان التربية الحقيقية

للجماهير لا يمكن ان تنفصل أبدا عن التربية السياسية الذاتية ، ولا سيما عن النضال الثورى للجماهير نفسها . فالنضال ، وحده ، هو الذى يربـى الطبقة المستغَلة ، والنضال ، وحده ، هو الذى يبين لها مدى قوتها ، ويوسع افقها ، وينهض بقدراتها ، وينير ذهنها ، ويشحذ عزيمتها» * . وعندما تتحرك الجماهير تظهر الارضية المواتية لتربيتها السياسية ، لادراك الطبقة لمصالحها الجذرية . وبهذا الصدد يقول لينين : «علينا ان نتذكر مدى جبروت القوة التنويرية والتنظيمية التى تمتلكها الثورة ، حيث تنتزع الاحداث التاريخية العاصفة جمهرة الناس العاديين من زواياهم وسراديبهم الهادئة ، وترغمهم على ان يصبحوا **مواطنين** . فان شهورا من الثورة تربـى أحيانا المواطنين بأسرع واكمل مما تفعله عقود من الركود السياسى» ** والحزب يعمم وينشر

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٣١٤ .

** المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٣٣٩ــ ٣٤٠ .

خبرة نضال البروليتاريا الطبقى ، ويتزعم مباشرة تحركات الطبقة العاملة .

وكان لينين حازما فى نضاله ضد الانتهازيين والتحريفيين الذين حاولوا تذويب الحزب فى الشرائح البرجوازية الصغيرة ، وتجريده من طابعه البروليتارى الطبقى . كذلك تصدى للتحريفيين اليساريين ، الساعين الى استبدال الحزب بالتنظيم العسكرى النزعة . ولا شك فى أن الظروف التاريخية الملموسة المتشكلة فى البلاد ، وحالة الطبقة العاملة ، هى التى تحدد صيغ تنظيم الحزب وعمله . ففى روسيا ، مثلا ، فى مرحلة تطور الحركة العمالية وفى ظل سيطرة القيصرية وظروف القمع والعمل السرى ، عنى لينين بتشكيل نواة الحزب المحترفة ، التى سيترتب عليها أن تكون القوة القيادية والتنظيمية للحزب وللحركة العمالية . وبمجرد تغير الظروف ، بتوفر ظروف أكثر ملاءمة لعمل الحزب ، ازداد قوامه العددى . ففى خريف عام ١٩٠٥ ، فى مرحلة نهوض الثورة البرجوازية الديمقراطية ، ازداد تعداد افراد منظمات حزب العمال الاشتراكى — الديمقراطى

8–1069

فى روسيا مرتين أو ثلاث ، حتى وعشر مرات أحيانا . وبهذا الصدد كتب لينين يقول : «فى ربيع عام ١٩٠٥ كان حزبنا اتحادا لحلقات سرية ، أما فى الخريف فصار حزب **الملايين** من البروليتاريا» * . وعلى نحو أسرع جرى نمو الحزب بعد ثورة شباط ١٩١٧ البرجوازية الديمقراطية .

ان قوة الحزب تكمن فى وحدته مع الجماهير. فهو يسعى ، حتى فى أوقات العمل السرى ، الى أن يجتذب الى صفوفه طليعة ممثلى الطبقة العاملة ، والى أن يلف حوله الطبقة العاملة ، والكادحين كلهم .

وفى ظروف العمل العلنى الشرعى تقوم مهمة الحزب فى أن يغدو حزبا جماهيريا . وفى العصر الحاضر تشكل الحركة الشيوعية العالمية أهم القوى السياسية وأكثرها نفوذا وتأثيرا .

فالأحزاب الشيوعية تعمل فى ٩٥ بلدا ،

---

* المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٧ ، ص ١٤٥ .

ويبلغ تعداد الشيوعيين اكثر من ٨٠ مليون شخص . ويناضل الشيوعيون من أجل أهداف الطبقة العاملة القريبة والبعيدة على السواء ، من أجل مصالح كافة الكادحين ، ومن أجل التقدم الاجتماعى وتحرر الشعوب الوطنى ونزع السلاح والسلام .

ان قوة الاحزاب الثورية تقوم فى أنها تدافع بثبات عن حقوق ومصالح الشعب الكادح ، وتبين سبل الخروج من الحالة الأزماتية للمجتمع البرجوازى ، وتطرح بديلا واقعيا للمجتمع الاستغلالى ، وتعطى اجابات ، مفعمة بالتفاؤل الاجتماعى ، على اسئلة العصر الجذرية . ثم ان هذه الاحزاب هى المعبر الأصيل والمدافع الحازم عن المصالح الوطنية لبلدانها .

وان النهج الطبقى المتسق يوسع نفوذ الاحزاب الشيوعية ، برغم كون جهاز الامبريالية السياسى الايديولوجى يغدو أكثر فاكثر مكرا وغدرا ، فيجمع بين اتباع سياسة التمييز حيال الشيوعيين وبين ملاحقتهم ، بين الدعاية المكشوفة فى عدائها للشيوعية وبين تأييد ما فى أوساط الطبقة العاملة من عناصر ، تعارض السياسة الطبقية والتضامن

الأممى ، وتنادى بالصلح الاجتماعى وبمشاركة البرجوازية . وان البرجوازية الاحتكارية والقوى الرجعية تهاجم الشيوعيين على هذا النحو من القسوة والعنف ، لأنهم يمثلون حركة ، تضرب جذورها العميقة فى التطور الاجتماعى ، وتعبر عن ألح مصالح الجماهير الشعبية . وتخوض الاحزاب الشيوعية نضالا يوميا من اجل وحدة الحركة العمالية ، وتسعى للتوصل الى توحيد الاعمال مع الاحزاب الاشتراكية ، ومع الاحزاب والمنظمات التقدمية كافة .

هل يمكن للاحزاب ، التى توقظ وعى البروليتاريا ، وعى الجماهير ، أن تمارس تأثيرا نشيطا على عملية تطور الحالة الثورية ؟

يزعم الانتهازيون اليساريون أن الحالة الثورية تتوقف كلية على ارادة الثوريين ونشاطهم الهادف . والشيوعيون يرفضون هذا الرأى باعتباره رأيا غير علمى وغير صحيح ، ولا يتفق مع الواقع ، ولكنهم يعترفون ، فى الوقت ذاته ، بأن الاحزاب ، التى تتسلح بنظرية التطور الاجتماعى وتنشط بين الجماهير ، يمكنها ، بلا شك ، ان تؤثر

على نشوء الحالة الثورية . وقد أكد لينين مرارا على ذلك . وتفضح الاحزاب الشيوعية سياسة الطبقة المسيطرة ، وترفع الشعارات وتطرح المطالب على الحكومة ، فتساعد بذلك على توفير الظروف الموضوعية ، الضرورية لتشكل الحالة الثورية .

وعليه ، فان العامل الذاتى للثورة الاشتراكية هو استعداد وقدرة حزب البروليتاريا الماركسى وحلفائها على الافعال الثورية الواعية ، الرامية الى الاطاحة بالنظام الرأسمالى وبناء الاشتراكية . وان نضج العامل الذاتى للثورة الاشتراكية يتوقف ، الى حد كبير ، على مدى ثورية الطبقة العاملة ، خبرتها النضالية وتقاليدها ومستوى وعيها وتنظيمها ودرجة استيعابها للنظرية الثورية ومتانة تحالفها مع الجماهير الكادحة سواء داخل البلاد او على الصعيد العالمى .

ولا يمكن للثورة ان تحدث فى حال غياب العامل الذاتى الناضج . ذلك هو قانون تطور كل ثورة . ولكن شأن العامل الذاتى يتزايد الى درجة كبيرة فى ظروف الثورة الاشتراكية . وليس هذا من قبيل الصدفة ، فانتصار الثورة الاشتراكية

يتطلب ان ينتهج الحزب سياسة قائمة على المعرفة بقوانين التطور الاجتماعى والصراع الطبقى ، وأن يحسن تحديد ليس فقط الاتجاه الاساسى لنمو الحركة الثورية ، بل ومهام النضال الملموسة وصيغه واساليبه . وان النضال من اجل تشكيل العامل الذاتى للثورة الاشتراكية يستلزم العمل من اجل وحدة الطبقة العاملة ، والتصدى للانتهازية والتحريفية . وليس تاريخ تطور الحركة العمالية العالمية الا تاريخا للصراع بين توجهين ، ماركسى وانتهازى ، حول كافة المسائل الاساسية ، النظرية والسياسية والتنظيمية .

٢ — ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى — بداية عصر ثورى جديد

ظلت الاشتراكية ، حتى عام ١٩١٧ ، مجرد حلم ، مجرد نظرية وراية للحركة الثورية .

وفى ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر بالتقويم الجديد) من عام ١٩١٧ قامت فى روسيا اول ثورة اشتراكية مظفرة فى العالم . وقد حولت هذه الثورة افكار

الاشتراكية الى واقع ملموس .

وكانت هذه الثورة تتوافق مع متطلبات تطور روسيا في ذلك الحين . وقد جاءت نتيجة حتمية لتصارع القوى الطبقية فى مجتمع روسيا . وفى الوقت ذاته كانت التناقضات ، التى ولدت ثورة اكتوبر ، تكثيفا للتناقضات العالمية التى تعانى منها الرأسمالية . فان التفاوت فى تطور الرأسمالية ، وما ينبع من ذلك من تفاوت تطور الحركة الثورية العالمية ، قد دفعا بروسيا ، فى مطلع القرن العشرين ، الى موقع الصدارة فى الثورة الاشتراكية التى نضجت موضوعيا .

وفى روسيا كانت تناقضات الرأسمالية ، التى عمقها النير القيصرى ومخلفات القنانة ، تتجلى على أشدها . وغدت روسيا اضعف حلقة فى الامبريالية العالمية ، واحدى بؤر تناقضاتها . والى هنا بالذات انتقل مركز الحركة الثورية العالمية . ونهضت امام بروليتاريا روسيا مهمة بالغة الصعوبة وخطيرة المسئولية : المبادرة فى كسر سلسلة السيطرة البرجوازية العالمية .

ان اعداء الماركسية ، الذين يعملون للتقليل

من شأن افكار ثورة اكتوبر ، يزعمون أن هذه الثورة تشكل ظاهرة عرضية فى التاريخ ، وحصيلة لاخطاء فادحة وقع فيها البعض ولحسن استخدام هذه الاخطاء من قبل آخرين . وهم يؤكدون أن ثورة اكتوبر العظمى جرت على نحو «مخالف للقاعدة» ، فى بلد متأخر ، غير محضر للتحولات الاشتراكية .

ولكن الواقع نفسه دحض آراء الانتهازيين الدوغمائية بأن الثورة الاشتراكية لا يمكن أن تنتصر الا فى البلدان الأرفع مستوى من حيث تطور القوى المنتجة ، والتى تشكل فيها البروليتاريا أغلبية السكان . فقد كانت روسيا ، عشية الثورة الاشتراكية ، بلدا رأسماليا متوسط التطور . ثم أن دخول الرأسمالية فى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية قد أدى الى نمو أحدث اشكالها هنا . وبهذا الصدد كانت روسيا تتقدم من جوانب كثيرة (من حيث مستوى تمركز الانتاج ، مثلا) على البلدان الرأسمالية الاخرى . بيد أن الاشكال الطليعية من الانتاج الرأسمالى كانت تتعايش جنبا الى جنب مع مخلفات الماضى .

وفى الريف كانت العلاقات شبه الاقطاعية ما تزال قائمة وكانت متأخرة جدا اطراف روسيا شبه الاستعمارية . هذا فضلا عن أن روسيا كانت متخلفة عن باقى البلدان الرأسمالية من حيث مستوى تطور الصناعة .

وقد توصل لينين ، من دراسته لخصوصيات الثورة فى روسيا ، الى القول «أن القانونية العامة للتطور فى التاريخ العالمى كله لا تستثنى ، بل على العكس ، تفترض وجود فترات فى التطور ، تمثل الخصوصية ، المتعلقة بشكل هذا التطور او بترتيبه» ، «بتغيير صيغة الترتيب التاريخى المألوف» * ويعنى لينين بالترتيب المألوف بلوغ ما يتطلبه بناء الاشتراكية من مستوى لتطور القوى المنتجة والثقافة . فهذا المستوى ، كما اشار لينين ، لم يكن تام التوفر فى روسيا القديمة . وجاء انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ليجعل فورا من روسيا البلد الاكثر تقدما من الناحية السياسية . اما تغير الترتيب التاريخى فيقوم ،

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٥ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨١ .

عند لينين ، فى أن العمال والفلاحين قاموا اولا باستلام السلطة ، ثم راحوا ، على هذا الاساس ، يعملون على تذليل التخلف المادى التكنيكيى ، على النهوض بالقوى المنتجة فى روسيا حتى أرفع مستوياتها العالمية . وقد أشار لينين ، فى معرض الحديث عن هذه المشكلات المعقدة ، الى أن البدء بالثورة الاشتراكية فى روسيا كان اسهل منه فى البلدان الرأسمالية الاخرى ، ولكن من الاصعب ، اضعافا مضاعفة ، المضى هنا نحو انجاز البناء الاشتراكى . (وفيما بعد يمكن نجاح البناء الاشتراكى ، كما يفترض الماركسيون ، حتى فى البلدان المتأخرة ، اذا اعتمدت على دعم بروليتاريا البلدان التى انتصرت فيها الاشتراكية .)

وكانت الطبقة العاملة ، المتحالفة مع فقراء الفلاحين ، القوة المحركة الرئيسية والقيادية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

فقد أدى التطور العاصف للرأسمالية الاحتكارية فى روسيا الى تكوين طبقة عاملة مناضلة ، مؤهلة لأن تتزعم الثورة القادمة . وكانت هذه

الطبقة ، برغم كونها قليلة العدد نسبيا ، تمثل قوة اجتماعية وسياسية هامة ، أكبر بكثير بالمقارنة مع جمهور الفلاحين المتفرق والمتشتت . وكان هذا يعود ، فى المقام الاول ، الى الكثافة العالية للطبقة العاملة فى المراكز الهامة والمؤسسات الكبيرة . وكانت البروليتاريا هذه قد استوعبت الخبرة الغنية للحركة العمالية العالمية ، وتمثلت وطورت التقاليد الثورية للبروليتاريا الاوروبية الغربية . وهذه الطبقة بالذات كانت تتزعم ثورة ١٩٠٥ البرجوازية الديمقراطية .

وكان الفلاحون يشكلون قوة ثورية كبيرة فى روسيا . فكانوا ، برغم سحق الاستغلال والظلم لهم ، على استعداد للنضال من أجل الارض والحرية ، وكانوا يميلون عفويا الى الطبقة العاملة . وفى الثورة الاشتراكية حصلت البروليتاريا على الدعم الكامل من قبل فقراء الريف ، الذين كانوا يشكلون اغلبية سكان القرى . وان البروليتاريا ، باجتذابها لاغلبية الفلاحين الكادحين ، استطاعت انتزاعهم من البرجوازية .

وقد جمع الحزب البلشفى فى تيار كبير

موحد كفاح البروليتاريا من أجل الاشتراكية ، ونضال الفلاحين من أجل الارض ، ونضال الشعوب المضطهدة فى روسيا من اجل التحرر الوطنى والحركة الشعبية العامة ضد الحــــرب الامبريالية ، ومن أجل السلام ، ووجه هذا التيار للاطاحة بالمجتمع البرجوازى .

وكان تزعم الحزب الماركسى الثورى المناضل للجماهير الشعبية الشرط الحاسم لانتصار ثورة اكتوبر . وقد تسلح هذا الحزب بالنظرية الطليعية للطبقة العاملة ـــ بالمذهب الماركسى اللينينى . وجاءت ثورة اكتوبر بمثابة نموذج على تطبيق النظرية اللينينية حول الثورة الاشتراكية . وقد أنارت هذه النظرية طريق المستقبل المشرق لكادحى روسيا ، واطلقت مبادرتهم الثورية ، واقنعتهم بامكانية القيام بالثورة الاشتراكية وانتصارها . وكانت ثورة اكتوبر اجل وأسطع دليل على صحة اللينينية .

وبانتصار ثورة اكتوبر ولد النظام الاجتماعى الجديد . وكان هذا دافعا قويا ومثالا ملهما لعمال العالم كله .

ان ثورة اكتوبر قد خلصت من النير الرأسمالى
سكان بلد كبير ، يغطى سدس الكرة الارضية .
ولم تجلب التحرر الاجتماعى للطبقة العاملة
والفلاحين الكادحين ، فقط ، بل وحلت المسألة
القومية فى روسيا ، بمهامها الديمقراطية العامة .
واعطت الثورة للفلاحين الارض التى طالما
انتظروها ، وحررت اطراف روسيا من الاضطهاد
القومى . وقد اوقفت تعزز التأخر الاقتصادى لروسيا
عن بلدان الغرب الطليعية ، وفتحت امامها
امكانيات كبيرة للحاق بها خلال حقبة تاريخية
قصيرة ، ولاول مرة فى التاريخ العالمى وفرت
هذه الثورة الظروف المواتية لحل المسألة النسائية ،
اى لتحرير النساء الحقوقى والفعلى ، ولمساواتهن
مع الرجال فى الحقوق .

وبنتيجة ثورة اكتوبر فى روسيا ولدت الدولة
الجديدة ، الاشتراكية ، التى وضعت سياستها
الخارجية ، ومنذ اليوم الاول ، فى خدمة قضية
السلام والصداقة بين الشعوب ، وقد ربطت ثورة
اكتوبر مفهومى «السلام» و«الاشتراكية» فى كل
واحد . وفى اول تشريع للسلطة السوفييتية ،

اتخذ فى اليوم الثانى بعد ثورة أكتوبر ، الا وهو المرسوم اللينينى عن السلام ، أعلن النضال من أجل السلام الديمقراطى والتعاون الدولى هدفا اسمى ومبدأ أرفع للسياسة الخارجية للدولـــة الاشتراكية ، يتجاوب مع المصالح الحيوية لشعوب كافة البلدان . وادينت الحرب باعتبارها افظع جريمة بحق الانسانية . وان دولة العمال والفلاحين ، بأول تشريعاتها فى ميدان السياسة الخارجية ، لم تكتف بالاعلان عن سعيها للتوصل الى وقف الحرب الامبريالية بل وطرحت ، بمثابة هدف استراتيجى ، توفير الظروف الملائمة للتعايش السلمى وحسن الجوار بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المتباينة . وصار النضال من أجل السلام نهجا استراتيجيا للدولة البروليتارية والحزب الشيوعى . ويشكل هذا النهج تعبيرا جليا عن أن المصالح الطبقية للبروليتاريا تتطابق مع المصالح الحقيقية للبشرية جمعاء ، مع مصالح كادحى المعمورة كلها .

ولأول مرة فى تاريخ البشرية قدمت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى نموذج السلطة البروليتارية

فى المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . فترسخت فى البلاد دكتاتورية البروليتاريا ، التى صارت جمهورية السوفييتات الشكل الحكومى لها . وصارت الطبقة العاملة الطبقة السائدة ، وصار الحزب الشيوعى الحزب القائد .

وكانت مسيرة شعوب روسيا السوفييتية على طريق بناء المجتمع الجديد شاقة للغاية . فقد كانت البلاد مطوقة بالمحيط الرأسمالى . وازداد الوضع صعوبة من جراء أن الثورة الاشتراكية انتصرت فى فترة ، كانت البلاد فيها تعيش وضعا قاسيا ، ناجما عن الحرب الامبريالية وما جلبته من دمار . وفى ذلك يقول لينين : «لقد ترتب علينا أن نبدأ بثورتنا فى ظروف فائقة الصعوبة ، لن تعرفها أية ثورة عمالية لاحقة فى العالم» * .

وثمة صعوبات بالغة ، ارتبطت بواقعة أن القوى المضادة للثورة ، داخل البلاد وخارجها ، قد شنت الحرب على الجمهورية السوفييتية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ١٣٧ .

فقد بدأت الطبقات المخلوعة حربا أهلية بهدف استرجاع سلطتها وملكيتها وامتيازاتها . واستخدمت هنا كافة الوسائل ، بدءا من الاضراب والرشوة وانتهاء بالارهاب الدموى . أما الامبرياليـــون الاجانب ، الذين خافوا من أن الثورة الروسية سوف تشعل اللهيب الثورى فى مواقعهم الخلفية ، فارسلوا قواتهم المسلحة لحرب البلاد السوفييتية . وعلى هذا النحو ظهر تحالف القوى المضادة للثورة ، الداخلية منها والاجنبية . وخلال ثلاث سنوات تسبب المتدخلون الاجانب والحرس الابيض (وهى التسمية التى اطلقت على القوى الداخلية للثورة المضادة) فى اغراق البلاد بالدماء ، وفى تخريب الصناعة ، وتدمير المدن والقرى ، وفرضوا على البلاد حصار التجويع ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحطيم مقاومة الشعب .

وقد جاء الحاق الهزيمة بالامبرياليين وعملائهم من الحرس الابيض ليؤكد صحة كلمات لينين : «لا يمكن ابدا الانتصار على شعب ، ادرك معظم عماله وفلاحيه وأحسوا ورأوا أنهم يدافعون عن سلطتهم ، عن السلطة السوفييتية ، سلطـــــــة

الكادحين ، وأنهم يذودون عن القضية التى يتيح انتصارها لهم ولأبنائهم التمتع بكافة خيرات الثقافة ، بكافة انجازات العمل البشرى»* .

كما وترتب على الشعب السوفييتى أن يصمد لامتحان قاس آخر ، هو الحرب الوطنية العظمى ضد المانيا الفاشية (١٩٤١ — ١٩٤٥) . فالى لحظة الهجوم على الاتحاد السوفييتى فى ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ كانت المانيا الهتلرية قد احتلت اوروبا كلها تقريبا . وكانت المانيا تسعى لبسط سيطرتها على العالم كله . وكان الفاشيون يعتزمون الاستيلاء على اراضى الاتحاد السوفييتى وثرواته ، وتصفية النظام الاشتراكى ، وقتل ملايين من الناس السوفييت ، واسترقاق المتبقين منهم . وفى هذه المعركة الرهيبة انتصرت الاشتراكية ، التى صنعتها ثورة اكتوبر ، انتصر النظام الاجتماعى الجديد .

وقد استمرت الحرب اربع سنين طوال

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٣١٥ .

وكان ثمن النصر ، الذى أحرزه الشعب السوفييتى ، غاليا للغاية . فقد ألحقت الحرب ، والاحتلال المؤقت لقسم من الاراضى السوفييتية من قبل الجيوش الهتلرية والجيوش الحليفة لهتلر ، خسارة فادحة بالبلاد . فعلى جبهات القتال وفى الاسر الفاشى استشهد اكثر من عشرين مليون سوفييتى . وقام الهتلريون بتدمير ونهب ١٧١٠ مدينة ، وحرقوا أكثر من ٧٠ ألف قرية . ودمروا ، كليا او جزئيا ، حوالى ٣٢ ألف مؤسسة صناعية ، و٦٥ الف كيلومتر من السكك الحديدية ، وخربوا ٩٨ ألف كلخوز . ولم يعرف التاريخ بلادا اصيبت بمثل هذا التدمير والخراب . ولكن الشعب السوفييتى صمد فى الامتحان العسير ، وخرج مكللا بالنصر .

ثم ان الشعب السوفييتى ، حين ذاد عن وطنه وانجازات ثورة أكتوبر فى الحرب الوطنية العظمى ، لم يدافع فقط عن اختياره التاريخى عام ١٩١٧ ، او عن استقلاله الذاتى وحريته الذاتية . فلقد انقذ ايضا شعوب العالم من خطر الاسترقاق الفاشى .

لقد قطع الشعب السوفييتى طريقا تاريخية

كبيرة من ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وحتى بناء الاشتراكية . وان العقود المتصرمة بعد انتصار ثورة اكتوبر تبين بجلاء ماذا يستطيع أن يفعله الكادحون الذين استلموا القيادة السياسية للمجتمع ، واخذوا على عاتقهم المسئولية عن مصير البلاد .

والآن نجد افكار الاشتراكية ، التى كانت تلهم الناس من قبل وتحفزهم على النضال الثورى ، قد صارت حقيقة ملموسة . ولاول مرة فى تاريخ البشرية أقيم المجتمع الاشتراكى .

وتشكل الملكية العامة لوسائل الانتاج ، التى غدت لها السيطرة فى كافة مجالات الاقتصاد الوطنى ، الاساس الاقتصادى للاشتراكية . ويستبعد هذا استبعادا كليا أية امكانية لتحول وسائل الانتاج الى ادوات لاستغلال قسم من المجتمع لقسم آخر .

وثمة شكلان اساسيان من الملكية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى : ملكية عامة وملكية كلخوزية تعاونية .

والملكية العامة (ملكية الدولة) ثروة للشعب كله ، والشكل الاساسى للملكية الاشتراكية .

وتعود الى الدولة كامل الارض وثرواتها الباطنة والمياه والغابات . كما وتمتلك الدولة وسائل الانتاج الاساسية فى مجالات الصناعة والبناء والزراعة ، والمواصلات والبنوك وأملاك المؤسسات التجارية والبلدية وغيرها من المؤسسات التى تنظمها الدولة ، والارصدة الاساسية من المساكن فى المدن ، وغيرها .

اما الشكل الثانى من الملكية الاشتراكية فهو الملكية التعاونية للفلاحين ، المتحدين طوعا فى استثمارات تعاونية (كلخوزات) . وفى البلاد السوفييتية هناك حوالى ٢٦ ألف كلخوز . والارض التابعة للكلخوز تكون بحيازته ، الى أجل غير محدود وبدون تعويض . وتساعد الدولة على تنمية الملكية الكلخوزية التعاونية وعلى اقترابها من ملكيـــة الدولة .

وقامت ثورة اكتوبر بحل المهمة الجليلة ، مهمة اعادة بناء الاقتصاد الوطنى على أسس اشتراكية . ففى حقبة تاريخية وجيزة تحول بلد كبير متأخر الى بلد ذى صناعة عالية التطور وزراعة تعاونية .

وبفضل انتصار ثورة أكتوبر والتحولات الجذرية التى تمت بعدها فى الاتحاد السوفييتى صفيت الطبقات المستغلة وكل امكانية للاستغلال وللتناحرات الاجتماعية . والمجتمع السوفييتى يتألف من الكادحين حصرا : الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين وشريحة المثقفين الكادحين . ويشكل التحالف المتين بين هذه الفئات الاساس الاجتماعى للدولة الاشتراكية السوفييتية .

وبين انجازات ثورة أكتوبر يشغل حل المسألة القومية مكانة خاصة . ففى الاتحاد السوفييتى هناك حوالى ١٠٠ امة وشعب . ولذا فان مشكلة العلاقات المتبادلة فيما بينها تمثل احدى أصعب المشكلات الاجتماعية وأعقدها . ولم يكن من قبيل الصدفة أن روسيا القيصرية كانت تسمى «سجن الشعوب» . فبمساعدة موظفى الحكومة القيصرية كان الاقطاعيون والرأسماليون الروس يضطهدون الامم والشعوب غير الروسية ، ويبقونها فى حالة من البؤس والحرمان من الحقوق ، من التبعية شبه الاستعمارية .

وبفضل التطبيق المتسق للسياسة اللينينية ،

ومع بناء الاشتراكية ، حلت المسألة القومية حلا نهائيا وجذريا . فغدت كافة الامم والشعوب ، التى تدخل فى قوام البلاد السوفييتية ، حرة ومتكافئة فى الحقوق . وقد اتحدت طوعيا فى دولة اتحادية جبارة ، واستندت الى المساعدة النزيهة من قبل الشعب الروسى فى بناء الحياة الجديدة .

ان قوة تراص الشعوب وتعاونها قد اعطت دفعا منقطع النظير لوتائر تطور كافة الجمهوريات . فقد تراجع العداء والتوجس فى العلاقات بين الامم ، ليخليا المكان للصداقة والاحترام المتبادل . وبلغت الثقافات القومية أرفع مستويات الأزدهار . وبوتائر سريعة ، وفى كافة ميادين الحيــــاة الاجتماعية ، يجرى تقارب الامم . وظهر شكل تاريخى جديد من اجتماع (وحدة) الناس ، هو الشعب السوفييتى . .

وان مجتمعا من المجتمعات التى وجدت يوما ما على الأرض لم يقدم ، ولم يكن بوسعه أن يقدم ، ما قدمته الاشتراكية للانسان الكادح . فان كافة التحولات ، التى تجرى فى بـــــلاد السوفييت ، موجهة ، فى المقام الاول ، نحو

تأمين ظروف حياة انسانية حقا لكل انسان .
وحررت الاشتراكية الكادحين من الاستغـــــلال والاضطهاد ، ومنحتهم الثقة بالمستقبل . فخلال العقود العديدة المنصرمة لم يعرف الناس السوفييت البطالة . كما لا يعرفون مشاعر الخوف الذليل من يوم الغد ، وخشية البقاء بدون عمل ، وبدون خدمة طبية ، وبدون مأوى . وقد ضمنت الاشتراكية الحق في العمل والتعليم والضمان الاجتماعى والوقاية الصحية المجانية والراحة والمسكن والتمتع بثمار الثقافة . والتعليم الثانوى مجانى فى الاتحاد السوفييتى . ثم ان الطلبة السوفييت لا يدفعون شيئا لقاء الدراسة فى المعاهد العلمية العليا ، بل ، وعلى العكس ، يحصلون من الدولة على منحة دراسية .

وصار ترسيخ مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية أكبر انجازات ثورة اكتوبر ، فيتمتع كل انسان بكامل الحقوق والحريات ، التى تتيح له المشاركة النشيطة فى الحياة السياسية . وتضمن لكافة اعضاء المجتمع نفس العلاقة بوسائل الانتاج . وقد منحوا كلهم ، بغض النظر عن الجنس والانتماء القومى ،

الحق في العمل والراحة والمسكن والرعاية الصحية المجانية والتعليم المجاني والتقاعد . ثم ان السياسة الاجتماعية للحزب والدولة تهدف دوما الى رفع مستوى رخاء الشعب ، وتقوية صحة كافة الناس ، وتوسيع ارصدة السكن ، وتطوير منظومة التعليم العام والمهني . ويضمن هذا كله درجة رفيعة من المساواة ، لا يمكن الوصول اليها الا في ظل الاشتراكية .

وتحسن ، بما لا يقارن ، المستوى المادي والمعنوي لحياة الناس السوفييت . فازدادت بصورة ملحوظة الثقافة العامة والتحصيل العلمي للانسان السوفييتي ، الذي ليس من العبث أن يسمى بالانسان الأكثر قراءة في العالم . وفي الوعي الاجتماعي ترسخت العقيدة المادية العلمية .

وفي الاتحاد السوفييتي بني نمط جديد من الديمقراطية ، هو الديمقراطية الاشتراكية ، التي تضمن للمواطنين حقوقا وحريات ، لا تتوفر ولا يمكن أن تتوفر في ظروف الدولة البرجوازية . وتشكل سوفييتات نواب الشعب الاساس السياسي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . وهذه

السوفييتات ، التى ولدت فى مجرى الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ — ١٩٠٧) ، تعبئ وتوجه طاقة الجماهير العريضة نحو حل المهام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الملحة .

ان النجاحات ، التى حققها الشعب السوفييتى فى مجرى النضال الثورى والبناء الاشتراكى ، ترتبط أوثق الارتباط بالحزب الماركسى اللينينى . فهذا الحزب ، الذى يضم فى صفوفه اليوم أكثر من ١٩ مليون شيوعى ، هو الطليعة السياسية المعترف بها لا للطبقة العاملة وحدها ، بل وللشعب السوفييتى كله . ويرسم الحزب الشيوعى السوفييتى الاستراتيجية العلمية لتطور البلاد ، ويحل مهام واسعة النطاق ، ومنها سياسية وايديولوجية واقتصادية وادارية .

وفى المرحلة المعاصرة من التطور التاريخى تنتصب امام الحزب الشيوعى ، امام الشعب السوفييتى ، مهمة التحسين الشامل للمجتمع الاشتراكى ، والاستخدام الانجع والاكمل لامكانياته وافضلياته بهدف متابعة التحرك نحو الشيوعية . وهذا هو ما ترمى اليه استراتيجية تسريع التطور الاقتصادى الاجتماعى ، التى صاغها المؤتمر

السابع والعشرون للحزب . ويهدف نهج الحزب الاستراتيجى هذا الى التحوير النوعى لكافة جوانب حياة المجتمع السوفييتى : التجديد الجذرى للقاعدة المادية التكنيكية على أساس منجزات الثورة العلمية التكنيكية ، وتطوير العلاقات الاجتماعية ، وخاصة الاقتصادية منها ؛ واجراء تحولات عميقة فى مضمون وطابع العمل ، وفى ظروف حياة الناس المادية والروحية ؛ وتنشيط مجمل منظومة المؤسسات السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

وسوف تؤدى هذه التحولات الى حالة نوعية جديدة للمجتمع السوفييتى ، تكشف ، وبأكمل صورة ، عن الافضليات الهائلة للاشتراكية فى كافة ميادين الحياة . وبذلك تتم خطوة تاريخية الى الامام على الطريق نحو الطور الاعلى ، نحـــو الشيوعية .

* * *

كان لينين يرى أن القيمة العالمية لثورة اكتوبر تتمثل ، قبل كل شىء فى التأثير الذى مارسته على مجمل مجرى التاريخ العالمى ، وكان يؤكد

أيضا على قيمتها بالمعنى الضيق للكلمة ، بمعنى حتمية تكرار أهم سمات هذه الثورة على الصعيد العالمي .

ان ايا من الاحداث التاريخية لم يمارس التأثير القوى والعميق على تطور البشرية ، كالذى مارسته ثورة اكتوبـر الاشتراكية العظمى . فلم توجد ، ولا توجد ، فى العالم قوى وحركات سياسيـة الا وتأثرت بثورة اكتوبر فى هذه الصيغـــة او تلك ، الا ومسها ، على نحو او آخر ، ما بدأته ثورة اكتوبر من تجديد ثورى عالمى النطاق .

فبتأثير ثورة اكتوبر بدأ تحرك مجمل عالم المستغَلين ، الرازحين تحت نير الامبريالية . فان كون ثورة اكتوبر أدت الى انتقال الطبقة العاملة فى اكبر بلدان العالم الى موقع الطبقة السائدة قد رفع ، بما لا يقاس ، من الوعى الاشتراكى للبروليتاريا العالمية ، ونهض بمعنوياتها الثورية ، ووطد ايمانها بقواها ، بانتصارها .

وبتأثير ثورة اكتوبر شمل النهوض الثورى الكثير من بلدان اوروبا وآسيا .

ففى المانيا بدأت التحركات التى تطالب بالايقاف الفورى للحرب الامبريالية ، وصارت تظهر سوفييتات مندوبى العمال والجنود . وفى خريف ١٩١٨ وصلت الازمة الثورية الى أقصى مداها . وقد شملت الانتفاضة كل البلاد تقريبا ، فسقط الحكم الملكى . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ اندلعت الثورة العمالية فى فنلندا . وفى عام ١٩١٩ جرت فى هنغاريا وبافاريا وسلوفاكيا اقامة السلطة السوفييتية ، التى تركت — وان تم قمعها على يدى القوى المضادة للثورة — أثرا عميقا فى وعى الكادحين . وفى ايطاليا بدأ تحرك واسع من أجل اقامة سوفييتات الفبارك والمصانع . وكان العمال يستولون على الفبارك والمصانع ، مثلما كان الفلاحون يستولون على اراضى كبار الاقطاعيين . ونشط النضال الثورى فى فرنسا وانكلترا وبلجيكا وبولونيا . وفى عامى ١٩٢٠ — ١٩٢١ اجتاحت موجة الاضرابات العامة بلغاريا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وغطت الاضرابات الجماهيرية الولايات المتحدة الامريكية وبلدان امريكا الجنوبية .

وان ثورة اكتوبر ، باعطائها الدفع للحركة العمالية فى العالم كله ، تلقت ، هى نفسها ، دعما قويا من البروليتاريا العالمية . ففى انكلترا قامت حركة تضامن واسعة تحت شعار «ارفعـــوا أيديكم عن روسيا السوفييتية !» . وفى بلدان عديدة راحت تتشكل لجان وطنية ومحلية ، تتزعم النضال من اجل وقف التدخل الاجنبى ، وامتنع عمال المرافئ عن تحميل السلاح للمتدخلين . وفى ايطاليا رفعت هذه الحركة شعار : «لن تذهب بندقية واحدة ، ولا طلقة واحدة ، ولا جندى واحد لمحاربة وطن الكادحين !» . وكان شغيلة البلدان الاخرى ينظرون الى روسيا السوفييتية على أنها مركز الاستقطاب الثورى .

وفى السنوات الاولى التى اعقبت ثورة اكتوبر كانت ثمة امور كثيرة ، تسمح بالامل بأن الثورة الاشتراكية ستنتصر لا فى روسيا وحدها . ولكن هذا لم يحدث . فقد تبين أن البرجوازية فى الغرب كانت لا تزال قوية بحيث تمكنت من قمع الطبقة العاملة بالعنف . وبين العوامل الرئيسية ، التى اعاقت آنذاك تطور الثورة فى البلدان الاوروبية

الغربية ، كان غياب او ضعف الاحزاب الماركسية اللينينية ، القادرة على استخدام الظروف الملائمة لتحرك الطبقة العاملة الثورى ، وعلى قيادة الجماهير وتوجيهها نحو استلام سلطة الدولة .

وبتأثير ثورة اكتوبر بدأت مرحلة جديدة من تطور الحركة العمالية العالمية ، تتسم بقيام الاحزاب الشيوعية فى بلدان عديدة . وصار النشاط الفعال لهذه الاحزاب فى عشرات البلدان وفى كافة القارات أهم عوامل التقدم الاجتماعى . وخرجت الطبقة العاملة من حالة التشتت والعجز ، التى كانت فيها ، بسبب من الانتهازيين ، فى فترة الحرب الامبريالية ١٩١٤ — ١٩١٨ . وقد زودت ثورة أكتوبر الكادحين بادراكهم لقواهم ، بوضوح الهدف والثقة بالمستقبل .

ومن الصعب المبالغة فى التأثير الهائل ، الذى مارسته ثورة اكتوبر على حركة التحرر الوطنى . وفى المقام الاول تجدر الاشارة الى أنها بينت للشعوب التابعة والمستعمَرة ، التى تشكل أكثر من نصف البشرية ، السبيل الصحيح الوحيد لحل المسألة القومية . ثم ان مثال بلاد السوفييت ، التى حطمت

جيوش المتدخلين ودافعت عن انجازاتهـــــا الاشتراكية ، قد بين لهذه الشعوب أنه مهما بدت سيطرة الدول الامبريالية راسخة لا تتزعزع فان التحرر من النير الاستعماری أمر ممكن . وبهذا الصدد قال لينين عام ۱۹۱۹ «وصار الآن تحرر شعوب الشرق امرا ممكنا تماما على الصعيد العملی» * .

وأرست ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بداية عصر جديد . فقد جاءت انعطافا حاسما فـــی التاريخ العالمی ، ورسمت الاتجاه العام والنزعة الاساسية للتطور العالمی ، وأرست بداية العملية التی لا رجعة لها ـــ استبدال الرأسمالية بتشكيلة اقتصادية اجتماعية جديدة ، بالشيوعية . وكفت الرأسمالية عن كونها نظاما مطلق السيادة ، يسيطر فی العالم كله . وقطعت سلسلة الرأسماليـــة العالمية ، التی لم يعد لها أن تلتحم مـــن جديد .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ۳۹ ، ص ۳۲۱ .

٣ — تعمق العملية الثورية العالمية وتنوع اشكال الانتقال الى الاشتراكية

قامت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بالخطوة الأولى نحو الانتقال من ما قبل تاريخ المجتمع البشرى الى تاريخه الحقيقى — الـــى الحضارة الشيوعية . وفى ذلك يقول لينين : «لقد بدأنا هذه المسيرة . ولكن متى بالذات وخلال أية فترة ، وبروليتاريا اية امة ستمضى بالمسيرة الى النهاية ، فتلك مسألة ليست بذات شأن . فالمهم هو أن الجليد قد انكسر ، وأن السبيل قد انفتح ، وأن الطريق قد تبين»* .

ان تطور العملية الثورية العالمية ، التى تجسدت فعليا فى صيغ ومظاهر شتى ، لا يزال يجرى فى اطار النزعات التاريخية ، التى رسمتها ثورة اكتوبر ، ولا يزال يعكس ، على هذا النحو او ذاك ، تركتها الفكرية وما تجلى عنها من تحولات وقانونيات عامة .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ١٥٠ .

وصار تشكل المنظومة الاشتراكية العالميـــة الجزء الأهم ، بعد ثورة اكتوبـر ، فى العملية التاريخية العالمية للانتقال الى المجتمع الجديد . فقد خرجت الاشتراكية من اطار بلد واحد . وعلى أرضية الواقع تبين تهافت الخرافة المعادية للشيوعية ، والتى تزعم أن الثورة الاشتراكية فى روسيا كانت مجرد ظاهرة عرضية . فان انتقال بلدان جديدة الى سبيل البناء الاشتراكى قد برهن على أن الانتقال الى التشكيلة الشيوعية ضرورة تاريخية ملحة ، وأن قوانين بناء الاشتراكية ذات طابع عام شامل .

والى مطلع الخمسينات من القرن الحالى كانت المنظومة الاشتراكية العالمية قد تشكلت نهائيا .

ان **الاشتراكية العالمية** هى كيان دولى جبار ، يستند الى اقتصاد رفيع التطور وقاعدة علمية متينة واحتياطى عسكرى وسياسى مكين . وهى تمثل اكثر من ثلث البشرية ، عشرات البلدان والشعوب ، التى تسير فى سبيل التفتح الشامل لقدرات الانسان والمجتمع الذهنية والاخلاقية . وظهر نمط جديد فى الحياة ، يقوم على مبادئ العدالة الاجتماعية ، وليس فيه مضطهِدون ولا مضطهَدون ، مستغِلون

10–1069

ولا مستغَلون ، وتكون السلطة فيه بيد الشعب . اما سماته المميزة فهى الروح الجماعية والتعاون الرفاقى ، وسيادة فكرة الحرية ، والجمع الوثيق بين حقوق وواجبات كل عضو فى المجتمع ، وكرامته الشخصية ، والانسانية الحقيقية .

والاشتراكية تحسّن باستمرار العلاقات الاجتماعية ، وتضاعف ما تم الوصول اليه ، وتزيد من جاذبية مثالها ، وتبين الانسانية الحقيقية لمجمل نمط الحياة . وقد تحولت الى قوة معنوية ومادية جبارة ، اذ بينت الامكانيات التى تنفتح امام الحضارة المعاصرة .

ان تقدم عصرنا يُقرن ، بحق ، بالمسيرة الاشتراكية .

وفى اطار المنظومة الاشتراكية العالمية تشكلت اسرة البلدان الاشتراكية ، التى تتميز بوحدة النظام الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للدول المنتمية اليها ، وبالتعاون الطوعى على اساس مبادئ الماركسية اللينينية والاممية الاشتراكية والتعاون الرفاقى وسيادة كل دولة . وفضلا عن الاتحاد السوفييتى تدخل فى الاسرة الاشتراكية

بلدان بلغاريا وهنغاريا وفيتنام والمانيا الديمقراطية وكوبا ولاوس ومنغوليا وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

ويمثل وجود اسرة الدول الاشتراكية أهم عوامل التطور العالمى المعاصر ، والعائق الرئيسى على طريق سياسة الامبرياليين المغامرة .

وفى ظروف ، تحاول فيها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها فى «الناتو» ردّ عجلة التاريخ الى الوراء واملاء ارادتها على الشعوب الاخرى ، مما أدى الى توتر الوضع الدولى ، تتعاظم اهمية وحدة وتلاحم بلدان الاسرة الاشتراكية ، التى هى الحصن المكين للسلام ولامن الشعوب .

ان كلا من البلدان ، التى دخلت السبيل الاشتراكى ، قد قامت ، بطريقتها الخاصة الى حد ما ، بالثورة الشعبية ، وبحل مهام التحويلات الاشتراكية .

ولكن ، وكما تبين الحياة ، فان السمات الجذرية العامة للثورة الاشتراكية وللبناء الاشتراكى تظل باقية وسارية المفعول .

فان التجربة الاجمالية لتطور الاشتراكية العالمية تبين ، فيما تبين ، الوقائع التالية :

— ان مسألة السلطة كانت ، ولا تزال ، المسألة الرئيسية فى الثورة . فاما سلطة الطبقة العاملة المتحالفة مع كافة فئات الشعب الكادح . واما سلطة البرجوازية . وليس ثمة حل ثالث ؛

— ان الانتقال الى الاشتراكية أمر ممكن اذا كانت الطبقة العاملة وحلفاؤها بعد استيلائهم على سلطة سياسية فعلية ، سوف يستخدمونها من اجل تصفية السيطرة الاقتصادية الاجتماعية للرأسماليين والاستغلاليين الآخرين ؛

— ان انتصار الاشتراكية ممكن اذا استطاعت الطبقة العاملة وطليعتها ، اى الشيوعيون ، ان ينهضوا بالكادحين ويتزعموا نضالهم من اجل بناء المجتمع الجديد ، من أجل تحوير الاقتصاد وكافة العلاقات الاجتماعية على الاسس الاشتراكية ؛

— لا يمكن للاشتراكية ان تتوطد الا اذا استطاعت سلطة الكادحين ان تدافع عن الثورة ضد اية هجمات للعدو الطبقى ، سواء من الداخل ، او — على الأغلب — من الخارج .

وليست هذه الا بعض الدروس المستقاة من خبرة تطور الاشتراكية المعاصر . وهى تؤكد ، مرة

اخرى ، الاهمية العالمية الجليلة لتجربة ثورة اكتوبر ، وذلك برغم كل خصوصية ظروف هذه الثورة . كما وتؤكد ، مجددا ، صحة قول لينين : «ان النموذج الروسى يبين لكافة بلدان العالم شيئا مهما للغاية من مستقبلها القادم لا محالة ، من المستقبل غير البعيد» * .

ان القانونيات العامة لتطور الثورة الاشتراكية تشكل مضمون هذه الثورة . وبدون أخذها بالاعتبار يتعذر على اى حزب شيوعى ان يقود الكادحين الى النصر . وهذه القانونيات ، التى انعكست فى نظرية الماركسية اللينينية وتأكدت صحتها على ارضية الواقع ، كانت تصاغ بصورة جماعية فى اللقاءات والمؤتمرات العالمية للاحزاب الشيوعية الشقيقة . وان الادراك العميق للقانونيات العامة ، والجمع الخلاق بينها وبين مراعاة الظروف الملموسة فى البلد المعنى ، كانا ، ولا يزالان ، سمة جوهرية لعمل الأحزاب الماركسية اللينينية .

وفى الوقت ذاته فان القانونيات العامة تتجلى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٤ .

دوما فى صيغة ملموسة ، وذلك ان الظروف الخاصة لتطور الثورة فى هذا البلد او ذاك تحدد سماتها الوطنية ، وتولد قوانين خاصة لتطورها . وفى ذلك كتب لينين يقول : «ان كافة الأمم ستصل الى الاشتراكية ، هذا أمر محتم ، ولكنها لن تصل على نحو واحد ، فسوف تنعكس خصوصية كل منها فى هذا او ذاك من اشكال الديمقراطية ، فى هذه او تلك من صيغ دكتاتورية البروليتاريا ، فى هذه او تلك من وتائر التحولات الاشتراكية لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية»* . وبالفعل ، فان ايا من البلدان الاشتراكية الحالية لم تكرر ميكانيكيا تجربة الآخرين فيما يخص اشكال الثورة الاشتراكية وطرائقها وسبلها . ألمانيا الديمقراطية أو بولونيا ، هنغاريا أو كوبا ، منغوليا أو يوغسلافيا ، والبلدان الاشتراكية عامة ــ هذه كلها قامت بالثورة الاشتراكية على طريقتها الخاصة ، وفى الصيغ التى أملاها ميزان القوى الطبقية داخل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٢٣ .

كل من هذه البلدان ، والنمط الوطنى والوضع الخارجى . فكان هناك النضال المسلح ، وكانت هناك الاشكال السلمية للانتقال الى النظـام الاجتماعى الجديد ، كان هناك وصول سريع للكادحين الى السلطة ، وكانت هناك عمليات ، امتدت ردحا طويلا من الزمن . وفى بعـــض البلدان ترتب الدفاع عن الثورة ضد التدخـــل الاجنبى ، فى حين أمكن لبعضها تجنب مثل هذا التدخل .

ان تجسيد القانونيات العامة لبناء الاشتراكية فى البلدان المختلفة ، مع مراعاة الظروف الملموسة فى كل منها ، يميز الاشتراكية الفعلية بصفتها نظاما ديمقراطيا وانسانيا حقا ، لم يعرف تاريخ البشرية مثيلا له من قبل . اما تجاهل القانونيات العامة ، وعدم القدرة على تطبيقها الخلاق فى الظروف التاريخية الملموسة ، بما يتلاءم والخصوصيات القومية لهذا البلد او ذاك ، فمن شأنهما أن يؤديا الى عواقب وخيمة .

ثم ان الثورة الاشتراكية العالمية ليست عملية خارج الاطار الوطنى . وفى ذلك يقول ماركس

وانجلس : «ان نضال البروليتاريا ضد البرجوازية هو ، بالشكل اذا لم يكن بالمضمون ، نضال وطني اول الامر . فمن الطبيعي أن على بروليتاريا كل بلد أن تقضي اولا على برجوازيتها» * .

ان الثورة الاشتراكية المدعوة لتأمين الانتقال الى مجتمع خال من الفوارق بين الطبقات ، تتطور بمساعدة القوى والأدوات التى تهيئها كل أمة في المجتمع الطبقي . وسوف يكون من الطوباوية الظن أن بوسع الثورة الاشتراكية أن تذلل فورا ما بين الشعوب من فوارق ، قائمة منذ قرون وقرون . ولذا فان وجود الخصوصيات الوطنية والقومية يشكل قانونا موضوعيا للانتقال الى الاشتراكية ، وللاشتراكية نفسها الى حد ما ، من حيث كون الاشتراكية الطور الأول من المجتمع الشيوعى .

ثم أن خصوصية اشكال الانتقال الى الاشتراكية فى البلدان المنفردة أى الوزن النوعى للوطني والقومى والخاص ، تزداد بسبب الاختلاف فى أزمنة هذا

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٣٥ .

الانتقال ، وفى الظروف الدولية التى تجرى فيها الثورات وبناء الاشتراكية فى مختلف البلدان . وان لينين ، حين يتحدث عن خصوصية اشكال انتقال البلدان المختلفة الى الاشتراكية ، انما يعنى ، اولا ، تفاوت وتائر تطور الثورة ؛ ثانيا ، امكان قيام صيغ متباينة من دكتاتورية البروليتاريا فى البلدان المختلفة ؛ ثالثا ، امكان اختلاف اشكال التحالفات الطبقية واساليب قمع مقاومة الطبقات الاستغلالية . فمن ذلك أن تجريد الاستغلاليين من حق الترشيح والانتخاب كان ضرورة فى روسيا ، ولكنه لم يكن الزاميا بالنسبة للبلدان الأخرى ؛ رابعا ، كان لينين يأخذ بعين الاعتبار امكانية قيام صيغ مختلفة ووتائر متفاوتة للتحويلات الاقتصادية فى مجرى بناء الاقتصاد الاشتراكى فى البلدان المختلفة ، بدءا من المصادرة المباشرة لأملاك البرجوازية وانتهاء باستخدام مختلف اشكال رأسمالية الدولة وشراء وسائل الانتاج من بعض فئات البرجوازية * . وهنا كان لينين يلفت الانتباه الى أن

* انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٦٣ .

الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية قد يتخذ اشكالا متباينة تبعا لما اذا كان الغالب فى البلاد هو الانتاج الرأسمالى الضخم او الانتاج الصغير .

ويشكل ميزان القوى الطبقية ، سواء فى البلد المعنى او على النطاق العالمى ، العامل الحاسم ، الذى يحدد الصيغة التاريخية الملموسة للثورة البروليتارية . وليس للسمات الوطنية والقومية أو للقوانين الخاصة للثورة الاشتراكية أن تغير مضمونها ، ولكن مراعاتها فى العمل الثورى تحدد ، والى درجة كبيرة ، نجاح الثورة .

صحيح أنه تبعا لظروف تطور هذا البلد او ذاك يمكن لدكتاتورية البروليتاريا أن تتجلى فى صيغ متباينة . ولكن الظن أنه يمكن لأحد القيام بتغيير جذرى للمجتمع بدون ادارة المجتمع من طرف الطبقة العاملة ، معناه الابتعاد عن الحياة الواقعية ، والتحليق فى ميدان الخيال .

وفى الآونة الاخيرة تعزز طرح التحريفيين لمسألة ما يدعى بـ«موديلات الاشتراكية» . فهم يزعمون انه يجب أن تكون ثمة موديلات مختلفة للاشتراكية ، ذلك أن موديل الاشتراكية السابق

قد ولى عهده ، وتنهض الآن ضرورة البحث عن موديل للاشتراكية أكثر «ليبرالية وديمقراطية» ، الخ . ولكن تعارض هذه الآراء مع الاشتراكية جلى للعيان : فتحت ستار ما يسمى بالموديل الجديد للاشتراكية يبرز السعى الى الغاء القانونيات العامة للبناء الاشتراكى والنظام الاشتراكى ، ويجرى تشويه مُثل الاشتراكية ، فالتقريب بينها وبين الرأسمالية .

وحين يتحدث الماركسيون عن خصوصيات الاشتراكية فى البلدان المختلفة فانهم يعنون بها تجلى مضمون واحد مشترك ، يقوم فى صلبها . اما حين يتحدث التحريفيون عن «موديلات الاشتراكية» فان المضمون العام للاشتراكية يختفى ، ولا تبقى الا الفوارق . هذا فى حين أن الاشتراكية الفعلية ، لا الوهمية ، فى اى من البلدان لا يمكن أن تتبدى الا فى صورة وحدة متميزة للعام والخاص والفردى .

ولكن من شأن تذكر العام وحده ، ونسيان الخاص والفردى ، أن يؤدى الى الخطأ ، الى افقار الاشتراكية الفعلية ، التى هى متنوعة تنوع الحياة نفسها . وهذا أمر مفهوم ، لأن العام لا

يوجد ابدا فى صورة محضة ، وانما يتحقق دوما عبر الملموس ، ويتخذ أشكالا خاصة تبعا له .
اما اذا ألغينا العام ، وأكدنا على الخاص وحده ، فاننا نرتكب خطأ أكبر ، حيث نفقد المعيار الموضوعى ، الذى يقوم فى صلب الظاهرة المعنية ويحدد ماهيتها .

وعليه فان تجاهل المضمون الاشتراكى الموحد ، والمبالغة فى شأن السمات الخاصة ، يقومان وراء الخطأ الفادح لانصار نظرية تعدد موديلات الاشتراكية .

ان تجربة تطور الثورات الاشتراكية قد أغنت موضوعات كلاسيكيى الماركسية حول امكانية تنوع اشكال الثورة الاشتراكية .

فقد يجرى تطور الثورة الاشتراكية عبر الانتفاضة المسلحة ، كما هو الحال فى روسيا . ولا يستبعد طريق حرب الانصار ، التى تترافق بالاعداد للاضراب الوطنى العام ، كما هو الحال فى كوبا .

ومع ذلك لا تنفى الماركسية امكانية الانتقال السلمى للسلطة الى ايدى الطبقة العاملة .

ففى الظروف التاريخية الملموسة ، التى كانت

قائمة فى روسيا بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديمقراطية عام ١٩١٧ ، ظهرت امكانية للانتقال السلمى الى الاشتراكية . فعلى قدم وساق كانت تقام وتنشط سوفييتات نواب العمال والجنود . ولم تكن البرجوازية تتجرأ بعد على استخدام العنف ازاء الجماهير ، حتى ولم يكن بوسعها فعل ذلك . وكانت الامبريالية العالمية منقسمة الى معسكرين متناحرين ، فلم يكن لها فى تلك الفترة أن تهرع ، فى الوقت المناسب ، لمساعدة البرجوازية الروسية . وقد راح لينين يوجه الحزب ، والطبقة العاملة عموما ، نحو الانتقال السلمى الى الاشتراكية . وكان يؤكد أنه يترتب حتما على الطبقة العاملة أن تحاول استخدام أية امكانية من هذا النوع ، «حتى ولو كان احتمال النجاح واحدا بالمئة» * .

ولكن الاحداث تطورت على نحو ، جعل الثورة الروسية تتم بسبل غير سلمية . ولكن مجرد الطرح لمسألة امكانية تواجد سبيلين فى تطور الثورة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ١٣٥ .

كان ، ولا يزال ، انجازا كبيرا وملحا من انجازات الفكر اللينيني .

ان امكانية تطور الثورة بالسبيل السلمي تتوقف على الظروف التاريخية الملموسة ، ولا سيما على غياب العنف الخارجي ضد الشعب ، وعلى ميزان القوى الطبقية في البلاد ، وعلى المواقف التى سيتخذها الجيش في اللحظة الحاسمة ، وتتوقف ، اخيرا ، على درجة مقاومة الطبقات السائدة . ولا شك ايضا في ان هذه الامكانية تتوقف على الظروف الدولية .

وتؤكد الوثائق البرنامجية للحركة الشيوعية العالمية وبرامج الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية على أن الشيوعيين ، اذا ظهرت امكانية واقعية لتطور الثورة السلمى ، سيفعلون كل ما في وسعهم من أجل استخدام هذه الامكانية . فقد جاء في بيان مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٠ : «بالاستناد الى اغلبية الشعب ، وبالتصدى الحازم للعناصر الانتهازية غير القادرة على التخلى عن سياسة المساومة مع الرأسماليين والاقطاعيين ، تتوفر للطبقة العاملة امكانية الحاق الهزيمة بالقوى

الرجعية والمعادية للشعب ، وتشكيل أغلبية راسخة في البرلمان ، وتحويل البرلمان من الاداة التي تخدم المصالح الطبقية للبرجوازية الى اداة تخدم الشعب الكادح ، والقيام بنضال الجماهير الواسع خارج البرلمان ، وتحطيم مقاومة القوى الرجعية ، وتوفير الظروف الضرورية من أجل التحقيق السلمي للثورة الاشتراكية» .

وبحكم عدد من العوامل تتوفر اليوم في الكثير من البلدان الرأسمالية امكانية لانتقال ، سلمي نسبيا ، نحو الاشتراكية . فالاحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا واليابان وبلدان أخرى تنوه في وثائقها البرنامجية بامكانية الطريق السلمي نحو الاشتراكية ، وتبني نشاطها على هذا الاساس .

اما في البلدان ، التي لا تتوفر فيها اليوم الحريات البرجوازية الديمقراطية ، وتكون فيها امكانية النضال السياسي في الظروف السلمية جد ضئيلة ، فان الثورة سوف تجري ، اغلب الظن ، بالطرق غير السلمية . ولكن اعلان الكفاح المسلح لا يعني رفض استخدام الاشكال السلمية للنضال

الثورى . ففى البلدان ، التى تسير فيها الاحزاب الشيوعية على نهج الكفاح المسلح للطبقة العاملة من اجل استلام السلطة ، تتبع هذه الاحزاب سياسة مرنة فيما يخص اختيار الاشكال الملموسة من النضال ، وذلك بما يتلاءم مع الوضع فى البلاد وعلى الصعيد العالمى ، انطلاقا من أن الانتفاضة المسلحة ضد الانظمة الفاشية والدكتاتورية هى السبيل الأكثر احتمالا للظفر بالسلطة .

ان الماركسيين اللينينيين ، الذين يهتدون بالمثل الانسانية ، هم انصار السبيل السلمى لتحقيق الثورة . فالمهام الاساسية للثورة الاشتراكية مهام بناءة . وهى تتطلب السلام ، تتطلب الحفاظ على قوى المجتمع المنتجة .

اما سبيل الكفاح المسلح فسبيل اضطرارى ، يظهر عندما تعمل القوى المعادية للثورة على تصفيتها . فممارسات النضال الثورى للطبقة العاملة تبين أن السبيل السلمى للظفر بالسلطة يمكن أن يستبدل ، فى حال المقاومة العنيفة من طرف البرجوازية ، بسبيل الكفاح المسلح . ومن ذلك أن الانتصار السلمى للجبهة الشعبية فى اسبانيا

عام ١٩٣٦ قد استدعى مقاومة عنيفة من جانب الاوساط الرجعية الاسبانية ، التى قامت فى ظل دعم الدولتين الفاشيتين ــ المانيا وايطاليا ــ وفى ظل الموافقة الصامتة لانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة باشعال نار الحرب الاهلية فى البلاد ، وهى الحرب التى انتهت بانتصار الرجعية . وهناك امثلة اخرى على ذلك .

فبنتيجة النهوض الثورى فى الشيلى فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ انتصرت الجماهير الشعبية فى الانتخابات ، واستلمت عددا من أهم مفاصل سلطة الدولة . وخلال ثلاث سنوات تواجدت معا السلطة الشعبية (الاجهزة الحكومية ، التى مثلها تحالف «الوحدة الشعبية») وسلطة البرجوازية الشيلية التى تشغل أغلبية ألمقاعد فى البرلمان ، وتشرف بصورة كاملة على عمل الاجهزة القضائية . وفى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، وبنتيجة الانقــــــلاب الذى قامت به القوى المعادية للثورة ، لحقت الهزيمة بالثورة . ولكن دروس الثورة الشيلية تنم عن امور كثيرة : اولا ، انها تثبت امكانية الاستلام السلمى للسلطة من قبل الشعب الثورى ؛ ثانيا ،

انها تبين انه لا يجوز الاكتفاء باستخدام الاساليب البرلمانية فى النضال ، فمن الضرورى استخدام كافة الأشكال الممكنة من النضال غير البرلمانى فى الظروف الملموسة المعنية ؛ ثالثا ، وهذا هو الامر الرئيسى ، ينبغى على السلطة الثورية أن تؤمن الدفاع عن انجازات الثورة ، وأن تكون متسقة فى قمع اعداء الثورة ، فتقصيهم عن القيادة ، وأن تكون مستعدة لمجابهة ما قد يفرضه العدو من اساليب الصراع المسلح . ففى هذه الحالة لا بد من الرد على القوة بالقوة ، بما يخدم مصالح التطور اللاحق للثورة .

ولكن الثورة ، بغض النظر عن كونها سلمية او غير سلمية ، تتطور دوما وفق قوانين موضوعية ، عامة ومشتركة بين كافة الثورات الاشتراكية : التحطيم الأكيد لآلة الدولة البرجوازية ، واقامة دكتاتورية البروليتاريا ، ووحدة الطبقة العاملة ، وقيادتها لحلفائها ، الخ .

وفى نظرية السبيل غير السلمى فى الثورة تولى أهمية خاصة للانتفاضة المسلحة ، التى تشكل أرفع لحظات النضال ، واداة لتذليل مقاومة

البرجوازية وللتغيير السريع لميزان القوى فى المجتمع لصالح الطبقة الثورية .

وقد نوه لينين بضرورة النظرة البالغة الجدية الى الانتفاضة المسلحة ، وعلّم العمال التحضير لها بكل دقة ، وعدم اغفال العوامل المتنوعة التى تؤثر فى نجاح الانتفاضة .

وكان لينين يناضل سواء ضد النزعة المغامرة التى ينفى أنصارها المشروطية الموضوعية للكفاح المسلح ، او ضد النزعة الانتهازية التى ينكر ممثلوها هذا الكفاح كأداة للظفر بالسلطة . ويحلو للمغامرين ، من كافة الشيع والالوان ، السعى لاثبات أن النجاح يتوقف حصرا على عزيمة الثوريين ومهارتهم التكتيكية . وهم يرون أن الانتفاضة لا تتوقف على الظروف الموضوعية ، ويطرحون فكرة الاستيلاء غير المتوقع على السلطة . ولكن الاستيلاء على السلطة ، اذا لم يستند الى ارادة الشعب ، ولم يترافق بحالة ثورية ، يقود دوما الى الهزيمة . فالماركسية تعلّم أن الكفاح المسلح ضرورى اذا لم تتوفر الظروف الملائمة للظفر السلمى بالسلطة . ولكن من الضرورى دوما توفر الظروف الموضوعية ،

مثل الحالة الثورية ودعم الثورة من طرف الطبقات التقدمية فى البلاد وبروليتاريا البلدان الاخرى .
كما ويتوقف النجاح على توفر العامل الذاتى ، ومدى نضجه . ففى روسيا حاول المناشفة البرهان على أن الاشتراكيين-الديمقراطيين يمكن أن يشاركوا فى انتفاضة الشعب المسلحة ، ولكن ليس لهم أن يخضروا لها ، ذلك أنهم «ليسوا حزبا من المتآمرين» .

وكان البلاشفة يتبنون رأيا آخر : ان التحضير للانتصار بالجهود الدعائية التحريضية وحدها ، بدون اقامة التنظيم الكفيل بالاعداد التكنيكى العسكرى للانتفاضة ، معناه السير بالانتفاضة الى هوة الهزيمة . وعندما تطرح الانتفاضة على جدول الأعمال لا بد من وجود خطة دقيقة فى العمل ، ومن توفر السلاح ، والقدرة على استخدامه ، وحسن انضباط ودقة تنظيم قوى الثورة القتالية ، والتنسيق مع وحدات الجيش الموالية للانتفاضة ، اى لا بد من توفر جملة من التدابير التنظيمية والتكنيكية التى تضمن تنفيذ كافة مراحل الخطة .

وكان لينين يحذر من مغبة التواكل . فمن

الضرورى ، فى حال البدء بالانتفاضة المسلحة ، المضى بها الى النهاية . فبعد فشل انتفاضة كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ فى روسيا راح المناشفة يرددون : «ما كان يلزم حمل السلاح» . ورد لينين عليهم : «على العكس ، كان يلزم مزيد من الحزم والاندفاع والهجوم فى حمل السلاح ، كان يلزم أن نوضح للجماهير أن من المتعذر الاكتفاء بالاضراب السلمى ، وان من الضرورى خوض الكفاح المسلح ، الذى لا يعرف الخوف ولا الشفقة» * .

ومن الامور المميزة لانتفاضة اكتوبر المسلحة عام ١٩١٧ كان الاختيار الدقيق لمكانها وزمانها ، ورسم العمليات الهجومية ، والقيادة السياسية والعسكرية للانتفاضة ، والحزم فى تنفيذ الخطة والتحرك الثورى يجب أن يستند دوما الى حركة جماهيرية ، ان يتمتع بتأييد الشعب .

وقد صاغ لينين القواعد الرئيسية التالية للانتفاضة المسلحة :

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٣ ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

— ليست الانتفاضة لعبة ، فالبدء بها يتطلب السير الحازم بها الى النهاية ؛

— ضرورة تأمين تفوق كبير في القوى ، فى الموقع الحاسم واللحظة الحاسمة ، والا فان العدو ، الذى يتمتع بتأهيل أرفع وبتنظيم أقوى ، يمكن أن يقضى على المنتفضين ؛

— فى حال البدء بالانتفاضة يجب العمل بأقصى قدر من الحزم والانتقال حتما ومن كل بد الى الهجوم ، فالدفاع يعنى هلاك الانتفاضة المسلحة * .

ويشكل التناول التاريخى الملموس أهم المطالب المنهجية فى تحليل الثورة الاشتراكية . فلا يمكن للسبيل السلمى ، او للتحرك الثورى «السلمى» نسبيا ، او لسبيل سورات الغضب الشعبى المفاجئة ، أن تؤدى ثمارها ، التى تتوافق مع مهام الثورة الاشتراكية واهدافها ، الا اذا كانت تضمن انتقال السلطة الى ايدي الكادحين ، وتفسح

---

* انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٣٨٣ .

المجال لتطوير القوى المنتجة على اساس اشاعة الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وتنهض بالجماهير نحو العمل النشيط ، وتعمل على اشراكها فى الخيرات المادية والروحية .

وقد ناضل الماركسيون اللينينيون ، ولا يزالون ، سواء ضد التقوقع الدوغمائى فى اطار هذا او ذاك من اشكال العملية الثورية ، او ضد جنون «الثوروية» . فالثورة ليست هدفا بحد ذاتها ، ثورة من اجل الثورة — ذلك هو الاستنتاج ، الذى يتيح التقييم الصحيح لاهداف ومهام العملية الثورية العالمية .

الفصل الرابع

الثورات الديمقراطية الشعبية وثورات التحرر الوطني المعادية للامبريالية

١ ــ الثورات الديمقراطية الشعبية

فى الاربعينات من القرن الحالـــــــــى ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة المانيا الهتلرية واليابان الامبريالية حدثت فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا ثورات ديمقراطية ، معادية للامبريالية وللاقطاعية . وقد صارت هذه الثورات مقدمة للتحولات الاشتراكية ، ودعيت بالثورات **الديمقراطية الشعبية** .

ان البلدان التى تمت فيها الثورات الديمقراطية الشعبية ، كانت فى مستويات جد مختلفة من التطور الاجتماعى . ولذا فان المضمون الاجتماعى السياسى للثورات الديمقراطية الشعبية لم يكن واحدا ، رغم

تشابهه . فاذا كانت تشكيوسلوفاكيا والمانيا تنتميان الى البلدان الرفيعة المستوى من حيث تطور القوى المنتجة ، فان بلدانا ، مثل بولونيا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا كانت في عداد البلدان ذات المستوى المتوسط من تطور الرأسمالية . وفي عدد من هذه البلدان لم تكن قد حلت بعد مهمات الثورة البرجوازية الديمقراطية ، ولم تكن قد صفيت ملكية الارض الاقطاعية . وكانت ثمة مخلفات قوية للاقطاعية في البانيا .

وفي بلدان جنوب شرق آسيا ، التي تحررت بعد هزيمة اليابان الامبريالية ، تجلى على نحو أكبر التخلف الاقتصادي لمجمل نمط الحياة الاجتماعية ، وسيطرة الاشكال القديمة ، الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، في تسيير الاقتصاد .

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية وقعت هذه البلدان تحت سيطرة الامبريالية الاجنبية (الالمانية والايطالية واليابانية) . فقد كانت محتلة او تابعة للبلدان الفاشية . ولذا فان المهام القريبة ، التي انتصبت امام شعوب هذه البلدان ، كانت تتمثل في النضال ضد الفاشية ، والكفاح من اجل

الاستقلال الوطني والديمقراطية . وكانت وحدة المهام وراء تشابه سمات الثورات الجارية فيها فى المرحلة الاولى من تطورها . وكان حل هذه المهام يتسم بطابع ثورى . وفى معظم البلدان تم ذلك بالطرق المسلحة ، فى مجرى الحرب ضد المانيا الهتلرية واليابان الامبريالية ، اللتين لعب الاتحاد السوفييتى وقواته المسلحة الـــــدور الحاسم فى الحاق الهزيمة بهما .

وفى هذه المرحلة كانت القوة القيادية فى النضال التحررى الوطنى هى الطبقة العاملة ، التى تساندها الفئات الفلاحية والبرجوازية الصغيرة المدينية والجماعات المثقفة وحتى قسم من البرجوازية الوطنية . وفى مجرى الصراع الطبقى أزيحت القوى الرجعية — الاقطاعيون ، وكبار الرأسماليين ، والخونة الذين تعاملوا مع المحتلين الاجانب . وقامت القوى الوطنية بانشاء الجبهة الديمقراطية الشعبية ، التى شكلت أساس الوحدة الوطنية .

ولذا فانه فى ظروف الديمقراطية الشعبية جرى توحيد القوى الاجتماعية العريضة فى مسيرة حل المهام الديمقراطية العامة ، المعادية للامبريالية

والفاشية . وفى معظم البلدان انضمت الى هذه المهام مهام معادية للاقطاعية ، ذات شأن كبير من حيث حجمها .

وقد مر تطور الثورات الديمقراطية الشعبية فى معظم البلدان بمرحلتين وثيقتى الارتباط فيما بينهما : مرحلة التحولات الديمقراطية العامة ، المعادية للامبريالية وللاقطاعية ، ومرحلة التحولات الاشتراكية .

وفى المرحلة الاولى (فى اوروبا منذ خريف ١٩٤٤ وحتى عامى ١٩٤٧ — ١٩٤٨) تمت تصفية سيطرة الرأسمال الاحتكارى ، واجتثت جذور الفاشية ، وأشيعت الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية ؛ وتحقق الاصلاح الزراعى وفقا لمبدأ — «الأرض لمن يفلحها» ، وصفيت مخلفات الاقطاعية ؛ وأممت ملكية مجرمى الحرب والملكية التى استولى عليها المحتلون ؛ واقيمت سلطة شعبية حقا ، دولة الديمقراطية الشعبية . وفى بداية المرحلة الاولى كانت هذه السلطة ، فى جوهرها ، تمثل الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للطبقات الثورية التى تتزعمها البروليتاريا . وفى

الوقت ذاته فان هيمنة البروليتاريا ، بقيادة الحزب الماركسى اللينينى فى اطار هذه السلطة الديمقراطية ، تشكل جنينا لدكتاتورية البروليتاريا .

وفى المرحلة الثانية من الثورة الديمقراطية الشعبية يحدث فرز للقوى الطبقية . فيجرى صراع حول تأميم وسائل الانتاج ، ومن أجل التصفية التامة لنفوذ الاحتكارات الاجنبية ، والتوسع فى اشاعة الديمقراطية السياسية . وفى هذا الصراع تتوطد مواقع الطبقة العاملة وكافة القوى الملتفة حولها ، ويقوى نفوذ الاحزاب الماركسية اللينينية ويغدو تدريجيا هو الغالب ، وتعزل البرجوازية التى تقاوم التحولات التقدمية . وبنتيجة ذلك تحل الطبقة العاملة مهام الثورة الاشتراكية ، وتقيم دكتاتورية البروليتاريا فى صيغة الديمقراطية الشعبية .

ان الثورة فى بلدان الديمقراطية الشعبية بأوروبا قد تمت على نحو مستمر ، فكانت المرحلتان — الديمقراطية والاشتراكية — طورين من عملية ثورية واحدة ، تقودها الطبقة العاملة على امتدادها كلها . وكان يسهل من انتقال هذه البلدان من طور الى آخر أنه كانت فيها احزاب شيوعية قوية ،

تمرست في النضال السرى المديد .

وفى معظم البلدان جرى الانتقال التدريجى من المرحلة الديمقراطية العامة الى المرحلة الاشتراكية بالسبل السلمية على الأغلب (بدون انتفاضة مسلحة وحرب أهلية) ، باستخدام البرلمان ، وفى اطار الدستور . فتحت ضغط الجماهير «من الأسفل» ، وباستخدام جزء من السلطة التى صارت بيد الطبقة العاملة ، عمل البرلمان ، «من الأعلى» ، على ازاحة ممثلى الاستغلاليين عن السلطة وعلى اتخاذ وتنفيذ برنامج التحولات الاشتراكية .

ولكن الانتقال السلمى الى المرحلة الاشتراكية لم يستبعد ، فى مجرى تطور الثورة ، قيام تناقضات سياسية واصطدامات طبقية . ففى بعض البلدان احتدمت هذه التناقضات احتداما كبيرا أحيانا (كما فى تشيكوسلوفاكيا فى شباط — فبراير ١٩٤٨) . وفى بعض الأحيان قامت البرجوازية بمحاولات يائسة للعودة بهذه البلدان الى طريق التطور الرأسمالى ، وللحيلولة دون اجراء التحـــولات الاشتراكية . وعبرت البرجوازية الصغيرة ، فى المدن والريف ، عن تذبذبات معينة . ولكن الصراع

الطبقي ، كقاعدة عامة ، لم يصل أبدا الى الحرب الاهلية .

وكانت الظروف السياسية الخارجية لانجاز الثورات الديمقراطية الشعبية ملائمة للغاية . فاذا كانت الجمهورية السوفييتية قد اقيمت في ظل غياب الدول الاشتراكية الاخرى ، فان بلدان الديمقراطية الشعبية رسخت اقدامها في ظــــل المساعدة الشاملة من طرف الاتحاد السوفييتي . فقد استخدمت الدولة السوفييتية كل جبروتهـــا المتزايد ونفوذها المطرد من أجل حماية البلدان الديمقراطية الشعبية من التدخل الامبريالي ، الذى كان من شأنه أن يثير حربا أهلية ويؤدى الى التدخل العسكرى الأجنبي . كما وساعدها الاتحاد السوفييتي في تذليل الصعوبات الاقتصادية ، التي حاولت الرجعية الداخلية والخارجية استخدامها لتأزيم الوضع والزحف على انجازات الشعب الديمقراطية .

وكان لتطور الثورة الديمقراطية الشعبية سماته الخاصة في البلدان المختلفة .

فقد تفاوتت هذه الثورات من حيث كيفية

الجمع بين المرحلتين الثوريتين . ففى بعض البلدان نمت الثورات الاشتراكية نموا مباشرا من الحرب التحررية ضد الفاشية ، وفى بعضها الآخر تقدمت على الثورة الاشتراكية مرحلة ديمقراطية متميزة ، حلت فيها ايضا بعض المهام الاشتراكية . وفى بعض البلدان يمكن بوضوح تتبع استبدال المرحلة الديمقراطية بالمرحلة الاشتراكية ، أما فى بعضها الآخر فلم تكن ثمة حدود فاصلة كهـــذه ، وفى بعضها جرى التطور الى الاشتراكية على نحو هادئ ، فلم يصطدم بمقاومة كبيرة ، وفى بعضها الآخر ترافق باحتدام قوى للصراع الطبقى .

فى تشيكوسلوفاكيا أقيمت دكتاتورية البروليتاريا نهائيا بعد الانتصار الذى حققه الكادحون فى شباط (فبراير) ١٩٤٨ . وفى شرق ألمانيا اكتسبت سلطة الدولة طابعا اشتراكيا بانشاء جمهورية المانيا الديمقراطية عام ١٩٤٩ . وفى بلغاريا كانت الدولة الديمقراطية الشعبية تحل ، فى وقت واحد ، مهام ديمقراطية عامة ، معادية للامبريالية ، ومهام اشتراكية .

وتتبدى خصوصية الثورة الديمقراطية الشعبية على

نحو أكبر فى بلدان آسيا ، التى كانت من قبل مستعمرات وأشباه مستعمرات للدول الامبريالية الكبرى . فالسمة المميزة لظهور وتطور الدول الديمقراطية الشعبية فى آسيا تقوم ، مثلا ، فى ان مرحلة الثورة الديمقراطية الشعبية كانت أطول .

وفى وضع خاص متميز جرت التحولات الاشتراكية فى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية . فهذا البلد يبنى الاشتراكية فى ظروف ، انتصرت فيها الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون فى شمال كوريا فقط ، اما القسم الجنوبى فيرزح تحت نير الطبقات الاستغلالية والامبريالية العالمية . وفى كوريا الشمالية ، حيث يمسك الشعب بزمام السلطة ، تمت التحولات الثورية فى سنوات ١٩٤٦ — ١٩٤٩ اساسا . وبعد انتصار الثورة ترتب على جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية فى سنوات ١٩٥٠ — ١٩٥٣ أن تبذل قوى كثيرة لرد عدوان النظام الكورى الجنوبى وحماته الامبرياليين . وكان لا بد لهذا كله من أن يترك بصماته على طابع البناء الاشتراكى .

وفى فيتنام لم يستطع الشعب أن ينهض لبناء المجتمع الجديد ، المجتمع الاشتراكى ، على نطاق واسع الا فى عام ١٩٥٤ ، عندما قطع دابر الاعمال العدوانية للمستعمرين الفرنسيين . وفى عام ١٩٦٩ أقيمت دكتاتورية الطبقة العاملة فى القسم الشمالى من البلاد . ولكن سير البناء الاشتراكى اصطدم بالحرب العدوانية ، التى شنتها الولايات المتحدة الامريكية . والى ايار (مايو) عام ١٩٧٥ تمكن الشعب الفيتنامى ، بمساعدة الدول الاشتراكية الصديقة ، من احراز النصر على المعتدين ، ومن تحرير فيتنام الجنوبية ، وفى صيف ١٩٧٦ اعيد توحيد جنوب البلاد وشمالها ، وتشكلت فيتنام الاشتراكية الموحدة .

ان الديمقراطية الشعبية ، التى تشكلت فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا ، تمثل شكلا تاريخيا جديدا من دكتاتورية البروليتاريا .

كانت **كومونة باريس** أول شكل تاريخى من دكتاتورية البروليتاريا . ففى الكومونة ، وبرغم قصر مدة وجودها ، ارتسمت الكثير من السمات المميزة لتنظيم سلطة الطبقة العاملة .

وكانت السلطة السوفييتية ثانى الاشكال التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا . وقد اقيمت **السوفييتات** اثناء ثورة ١٩٠٥ ـــ ١٩٠٧ البرجوازية الديمقراطية فى روسيا بفضل ابداع الجماهير الثوريـــــــــة . ان السوفييتات ، التى ظهرت فى اوساط الطبقة الأكثر ثورية ، فى أوساط البروليتاريا ، راحت تتطور بالاعتماد على فئات أوسع فأوسع من الجماهير ، وصارت تنظيما للشعب الكادح كله . وبعد ظفر البروليتاريا بالسلطة صارت السوفييتات صيغة دولة دكتاتورية البروليتاريا . وقد أكد لينين مرارا على الاهمية العالمية للسوفييتات ، التى تنعكس فيها السمات الجوهرية للسلطة البروليتارية . ولكنه اشار ، فى الوقت ذاته ، الى أن هذه السمات سوف تتجلى على نحو خاص فى البلدان الأخرى .

ورغم أن السوفييتات **والديمقراطية الشعبية** ، كشكلين من سلطة الكادحين التى تقودها الطبقة العاملة ، واحدة من حيث الأمور الاساسية والرئيسية ، فان ثمة فروقا بينهما ، تعود الى خصوصيـــــة الوضع التاريخى الذى ظهر فيه كل من هذيـن الشكلين .

فالارضية الاجتماعية العريضة للثورة ، وتطورها السلمى نسبيا ، ومساعدة ودعم الاتحاد السوفييتى ، حددت السمات العامة والميزات الخاصة للشكل الديمقراطى الشعبى من دكتاتورية البروليتاريا .

ان السمة الهامة لنظام الديمقراطية الشعبية تقوم فى أن الاحزاب الشيوعية والعمالية تمارس دورها القيادى فى الدولة ليس فقط عبر اجهزة السلطة والنقابات ومنظمات الشبيبة والتعاونيات وغيرها ، كما كان عليه الأمر فى الاتحاد السوفييتى ، بل وعبر تنظيم «الجبهة الشعبية» ، التى تمثل تحالفا للطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة المدينية والانتلجنسيا . وقد ارتبط تشكل الجبهة الشعبية بالقاعدة الاجتماعية العريضة للحركة الثورية ، وبضرورة التوحيد المنظم للقوى المحركة للثورة ، واقامة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين والطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى ، التى تعمل من أجل تقدم المجتمع .

ان الجبهة الشعبية (او الجبهة الوطنية) تطرح أمامها الهدف الرئيسى — توحيد جهود الشعب لبناء الاشتراكية . وهى ليست تنظيما حكوميا ، بل

منظمة اجتماعية سياسية جماهيرية ، لها قيادتها المركزية ولجانها المحلية . وللجبهة الشعبية برنامجها ، الذى عبره ينظم تعاون مختلف الاحزاب . وفى فترات انتخابات اجهزة السلطة تقدم الجبهة الشعبية مرشحيها للمجالس النيابية .

ومن السمات الاخرى للديمقراطية الشعبية تأتى حقيقة أنه فى بعض البلدان تتواجد عدة احزاب ، فى ظل الدور القيادى للحزب الماركسى اللينينى .

أما فى الاتحاد السوفييتى فتحققت دكتاتورية البروليتاريا فى ظل نظام الحزب الواحد . وبهدف توسيع القاعدة الاجتماعية للثورة طرح الحزب الشيوعى امكانية التعاون مع الاحزاب البرجوازية الصغيرة تحت راية توطيد السلطة السوفييتية وبناء الاشتراكية . وفى ذلك كتب لينين يقول : «كنا نرمى الى حكومة ائتلافية سوفييتية . فاننا لم نستبعد أحدا من السوفييت» * . ولكن فى مجرى الحرب الأهلية العنيفة راحت الاحزاب البرجوازية الصغيرة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٣٧ .

تنتقل ، الواحد تلو الآخر ، الى معسكر اعداء الثورة ، فسدت الباب امام مشاركتها في حياة البلاد السياسية . وتبين أن الحزب الشيوعى كان الحزب الوحيد ، الذى يناضل من أجل الاهداف التى تستجيب لمصالح الكادحين . وهكذا جاء نظام الحزب الواحد فى اطار دكتاتورية البروليتاريا فى الاتحاد السوفييتى حصيلة الظروف الملموسة للصراع الطبقى .

وفى الكثير من بلدان الديمقراطية الشعبية باوروبا تشكل وضع مغاير . فالاحزاب ، التى تضم شرائح معينة من الفلاحين والمثقفين الكادحين والحرفيين ، اعترفت بالدور القيادى للأحزاب الماركسية للطبقة العاملة ، وأيدت الانتقال الى المرحلة الاشتراكية من الثورة . وفى هذه الظروف صار تعاون الاحزاب الشيوعية في بلدان الديمقراطية الشعبية مع الاحزاب الاخرى أمرا ممكنا ، حتى وضروريا . وهذا التعاون لا يزال قائما حتى اليوم ، ويستمر بنجاح .

فحتى الوقت الحاضر يوجد فى بلغاريا ، الى جانب الحزب الشيوعى البلغارى ، الاتحاد الزراعى

البلغاری ؛ وفی المانیا الدیمقراطیة یوجد ، فضلا عن الحزب الاشتراکی الالمانی الموحد ، الاتحاد الدیمقراطی المسیحی ، والحزب الدیمقراطی اللیبرالی ، والحزب الدیمقراطی الوطنی ، والحزب الدیمقراطی الفلاحی ، الخ .

وفی البلدان ، التی توجد فیها عدة احزاب ، یشارك ممثلوها فی الحکومة ، ویشغلون مناصب قیادیة فی اجهزة السلطة المحلیة . ولکن هذه الاحزاب تعترف بالدور القیادی للاحزاب الشیوعیة والعمالیة فی مجمل الحیاة الاجتماعیة والسیاسیة .

ان تجربة تعاون الاحزاب الشیوعیة فی بلدان الدیمقراطیة الشعبیة مع باقی الاحزاب المؤیدة لبناء الاشتراکیة ، تدحض دحضا کاملا افتراءات الایدیولوجیین البرجوازیین والاصلاحیین فی أن الشیوعیین لا یمکن أن یکونوا حلفاء أمناء ، فبعد الوصول الی السلطة لا یسمحون بوجود الاحزاب الاخری .

وبین السمات الممیزة للدیمقراطیة الشعبیة تأتی المحافظة ، کقاعدة عامة ، علی حق الانتخاب العام والمتکافئ بالنسبة لکافة المواطنین ،

والبرجوازية ضمنا . ففى روسيا حرمت العناصر الاستغلالية من الحقوق الانتخابية ، مما كان يعود الى ضراوة الصراع الطبقى فى تلك الفترة . ولكن سبق للينين منذ السنوات الاولى للسلطة السوفييتية التأكيد على «أن مسألة حرمان الاستغلاليين من حق الانتخاب مسألة **روسية محضة** ، وليست مسألة دكتاتورية البروليتاريا عامة» * .

ففى بلدان الديمقراطية الشعبية ، وفى الظروف المواتية ، الداخلية والخارجية ، لم يكن استخدام الطبقات الاستغلالية لحق الانتخاب أن يهدد وجود السلطة الشعبية .

وهنالك سمات خاصة أخرى فى بعض بلدان الديمقراطية الشعبية . ففى عدد من بلدان الديمقراطية الشعبية الاوروبية تستخدم ، فى صيغة معدلة ، الاشكال البرلمانية ، كما هو حال «الجمعية الشعبية» فى تشيكوسلوفاكيا ، و«السيم» فى بولونيا .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٢٦٥ .

وان لتجربة الديمقراطية الشعبية ، الى جانب تجربة السوفييتات ، اهمية كبيرة بالنسبة لنضال الشعوب من أجل الديمقراطية والاشتراكية .

ويشكل نهوض الحركات الديمقراطية الجماهيرية فى العالم غير الاشتراكى سمة مميزة لعصرنا .

فالعملية الثورية العالمية فى مرحلتها المعاصرة لا تقتصر على الثورات الاشتراكية . فان التصور بأن موجة الثورات الاشتراكية قد تجتاح فجأة كافة بلدان العالم غير الاشتراكى ، وتنتزعها من سيطرة الرأسمالية معناه التردى فى أحضان الآراء المبسطة والدوغمائية ، الغريبة ، فى جوهرها ، عن الماركسية اللينينية . وهذه الفكرة السخيفة هى ما ينسبه اعداء الماركسية اليها ، بهدف تصويرها على نحو كاريكاتورى . وهنا يهدف تشويه نظرة الماركسيين الى العملية الثورية الى غاية محددة : طالما أن الثورة الاشتراكية لا تطرح على جدول الاعمال فى هذا البلد او ذاك ، فان الثورة غير لازمة ابدا ، وكل حديث عنه هذر ، لا طائل تحته .

هذا فى حين انه ليس لاى من بلدان العالم

غير الاشتراكى أن يتجنب الثورة . والمسألة كلها تنحصر فقط فى مواعيد الثورة ، وفى الوضع الذى ستنشب فيه ، وفى ميزان القوى الداخلية والخارجية ، والمهام المباشرة التى يترتب عليها حلها .

وبامكان الثورة الاشتراكية ، وحدها ، الانتزاع النهائى لهذا البلد أو ذاك من الرأسمالية ، والانتقال به الى السبيل الاشتراكى فى التطور . ولكى يحدث هذا الانتزاع لا بد فى عدد من البلدان من ثورات انتقالية ، ديمقراطية الطابع . وهذه الثورات انتقالية بين نمطين من الثورة — الثورات البرجوازية كثورات معادية للاقطاعية ، والثورات الاشتراكية كثورات معادية للرأسمالية .

ولا بد للثورة الاجتماعية من الجمع بين نضال البروليتاريا المظفر ضد البرجوازية فى البلدان المتقدمة وبين سلسلة كاملة من الحركات الديمقراطية والثورية ، بما فيها حركات التحرر الوطنى للأمم الضعيفة التطور والمتخلفة والمضطهدة .

ويعود هذا الى أن الرأسمالية تتطور على نحو متفاوت ، مما يتسبب فى اختلاف طابع الحركات الثورية باختلاف البلدان والقارات .

ان الاشكال الاساسية من الحركات الديمقراطية المعاصرة ، الموجهة ضد الرأسمال الاحتكارى ، هى : نضال الجماهير الفلاحية ضد مخلفات الاقطاعية التى تحافظ عليها الامبريالية ، وتحرك هذه الجماهير المعادى للاحتكارات ؛ النضال الوطنى من أجل الحفاظ على السيادة ؛ النضال دفاعا عن الديمقراطية ، وحركة الشعوب من أجل السلام الشامل ودرء الحرب النووية ، وحركات المثقفين الانسانية النزعة ودفاعهم عن الثقافة ؛ تحرك الجماهير الواسعة لحماية البيئة ، وغيرها .

ويشكل نضال الشعوب من أجل السلام أحد أهم حركات العصر الديمقراطية . فليس لدى الشعوب ثمة مهمة ، أجل وألح من مهمة الدفاع عن السلام . وان النضال من أجل السلام ، والكفاح ضد الحرب النووية ، يمسان مصائر البشرية كلها ، ويشكلان اليوم القضية الملحة الأولى لكافة شعوب كوكبنا . ويوحد النضال من أجل السلام شرائح واسعة من السكان ، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية وعن آرائهم السياسية والدينية والفلسفية . وفى التحركات المناوئة للحرب يشارك

الشيوعيون والاشتراكيون-الديمقراطيون والكثير من ممثلى الليبراليين وشرائح واسعة من المثقفين ورجال الدين وغيرهم .

وان تنامى مساهمة منظمات الطبقة العاملة يسبغ على الحركة المناوئة للحرب طابعا جماهيريا ، ويجعلها أكثر تنظيما وأقوى فعالية . وفى طليعة هذا النضال تسير الاحزاب الشيوعية . فالشيوعيون بالذات هم الذين يساهمون بالقسط الأكبر فى توحيد وتراص كافة القوى المحبة للسلام وفى تعبئتها للنضال ضد خطر الكارثة النووية ، ضد جبروت الاحتكارات — المصدر الرئيسى للحروب .

وفى العقود الاخيرة وصلت الحركات الديمقراطية المعاصرة أبعد مدى لها . وتنبع هذه الحركات ، فى المقام الأول ، من اهم تناقضات الرأسمالية المعاصرة — التناحر بين الاحتكارات وبين الاغلبية المطلقة من أفراد الشعب .

ويطالب الناس ، من مختلف الاتجاهات السياسية ، بوضع حد لعسكرة المجتمع ، لسياسة العدوان والحرب ، وبالقضاء على التمييز العنصرى والقومى ، وعلى انتقاص حقوق المرأة ، وتردى

وضع الجيل الناشئ ، والرشوة ، والموقف الوحشى للاحتكارات حيال استخدام ثروات الطبيعة واستغلال البيئة المحيطة . وهذه الحركات موجهة موضوعيا ضد سياسة الاوساط الامبريالية الرجعية ، وتصب فى التيار الموحد للنضال من أجل السلام والتقدم الاجتماعى .

وليس من المستبعد انه فى ظروف معينة يمكن للحركات الديمقراطية ، المناوئة لسياسة البرجوازية الامبريالية ، أن تتنامى الى **ثورات ديمقراطية** .

وهذه الثورات تكون ، فى جوهرها ، معادية للاحتكارات ، ذلك أنها ترمى الى الاطاحة بدكتاتورية الاحتكاريين . اما قواها المحركة فهى الطبقة العاملة والفلاحون والشرائح الوسطى من سكان المدن والانتلجنسيا الديمقراطية . وتمثل هذه الثورات نمط **الثورة الشعبية الديمقراطية** .

وتختلف الثورات الديمقراطية عن الثورات الاشتراكية بأنها لا تطرح مباشرة هدف استلام الطبقة العاملة للسلطة ، وازاحة البرجوازية عن الحياة السياسية والاجتماعية ، وتحويل الملكية الخاصة الى ملكية عامة ، وتطوير المجتمع على

الطريق الاشتراكى . فالثورات الديمقراطية محدودة فى طرح هذه المهام . فهى موجهة ضد الأنظمة الرجعية . والاطاحة بمثل هذه الانظمة تندرج فى مهام الثورات الديمقراطية ، التى تشارك فيها الجماهير الشعبية العريضة . وتوفر الثورات الديمقراطية الظروف الملائمة لتطوير نضال الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية . ومن الناحية الموضوعية تساعد الثورات الديمقراطية على تنمية قوى المجتمع المنتجة ، وعلى رفع مستوى الكادحين الحياتى ، واجتذابهم الى النضال فى سبيل الحقوق والحريات الديمقراطية . وعلى الصعيد السياسى توفر هذه الثورات امكانية التنظيم السياسى للجماهير ، وتنشيط النضال الطبقى .

ان شأن الثورات الديمقراطية فى العصر الحاضر يزداد باستمرار . فحتى فى بلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث تتوفر موضوعيا مقدمات الثورة الاشتراكية ، وحيث حلت منذ القرن الماضى مهام الثورات البرجوازية المعادية للاقطاعية ، يمكن للثورات الديمقراطية أن تأتى بمثابة تمهيد للثورات الاشتراكية . والمقصود هنا هو أن تطرح على

جدول الأعمال مسألة الثورات المعادية للاحتكارات ، والتي تولد تلاحم كافة قوى الشعب المعافاة من أجل التخلص من سلطة الاحتكارات الكلية الجبروت .

ويمكن للثورات الديمقراطية أن تشكل مرحلة معينة خاصة في العملية الثورية . فمن هذه الثورات ، مثلا ، كانت ثورة البرتغال ، التى أطاحت بالنظام الاستعماري وأمنت للكادحين حقوقا ديمقراطية واسعة . ولكن هذه الثورة ، بحكم ميزان القوى القائم لم تتطور الى الأمام . فتلاحم البرجوازية البرتغالية ، ودعمها من طرف الامبريالية العالمية ، وخيانة زعماء الحزب الاشتراكى ، كانت وراء توقف العملية الثورية فى هذا البلد ، حتى والتراجع بعض الشىء .

وفى العصر الحاضر تكتسب أهمية كبيرة الثورات الديمقراطية ، التى ترتبط بحركة التحرر الوطني وبالنضال ضد الاستعمار الجديد . وهنا يدور الحديث عن البلدان النامية ، التى خلعت نير الاستعمار ، ولكن الطبقة العاملة فيها ليست متطورة بما فيه الكفاية ، بحيث تضمن تنامى الثورة

الديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

وفى هذه البلدان يمكن للثورات الديمقراطية أن تشكل مقدمة اما للتوجه الاشتراكى او للتطور بالطريق الرأسمالى . وتقدم الثورة المصرية مثالا كلاسيكيا على ذلك .

ولكن عندما تكتسب الثورات الديمقراطية طابعا راديكاليا فانها تضمن انتصار الانظمة الديمقراطية الشعبية ، التى تقود بلادها نحو طريق التوجه الاشتراكى . وتدل على ذلك تجارب انغولا واثيوبيا وموزامبيق وافغانستان وبلدان اخرى غيرها .

وتبين التجربة التاريخية أنه ليس من الضرورى ابدا أن تتطور كل ثورة ديمقراطية الى ثورة اشتراكية فهذا التطور يتوقف على ما اذا كان بامكان الطبقة العاملة ، بزعامة الحزب الماركسى ، أن تشغل الموقع القيادى فيها .

٢ — ثورات التحرر الوطنى المعادية للامبريالية

لقد أشار لينين ، فى معرض الكشف عن آفاق تطور الثورة الاجتماعية العالمية ، الى تعاظم

دور حركات التحرر الوطنى فيها ، والى ضرورة صهر حركات التحرر الوطنى مع النضال ضد الامبريالية العالمية * .

ان فكرة لينين ، القائلة بحركة التحرر الوطنى جزءا من العملية الثورية العالمية ، عملية الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تشكل موضوعة انطلاق فى وثائق المؤتمرات العالمية للاحزاب الشيوعية والعمالية فى اعوام ١٩٥٧ و١٩٦٠ و١٩٦٩ .

وتركز هذه الوثائق الاهتمام سواء على المهام **العامة** ، التى توحد حركة التحرر الوطنى مع باقى قوى العصر الثورية ، او على **السمات الخاصة** ، التى تميز هذا الفصيل من فصائل العملية الثورية العالمية .

ويشكل التطور العاصف لحركة التحرر الوطنى ، الذى أدى الى انهيار النظام الاستعمارى الامبريالى ، احدى السمات الجوهرية للعصر الحاضر .

---

* انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٣٢٧ .

وتدريجيا صارت الكثير من البلدان والشعوب ، حتى وقارات بأكملها ، ضحايا للاستعمار . ففى عام ١٩١٩ كانت البلدان المستعمرة والتابعة تغطى ٧٢ بالمئة من أراضى العالم وكان يعيش فيها ٧٠ بالمئة من سكانه . ان المنظومة الاستعمارية تعنى الاضطهاد القومى واستغلال الشعوب فى أفظع اشكاله همجية ووحشية . فقد حرمت الدول ، المندرجة فيها ، من الاستقلال السياسى ، وتحول اقتصادها الى مصدر لتزويد المتروبولات بالمواد الزراعية والمواد الخام . كما وبسط الامبرياليون سيطرتهم على الحياة الروحية للشعوب المستعبَدة ، ففرضوا عليها افكار التفوق العرقي للمستعمرين ، ودمروا قيمها وثرواتها الثقافية . وألحقت الامبريالية خسارة فادحة بتطور البلدان المستعبَدة الاقتصادى والسياسي والثقافي . فان مستوى تطورها الاقتصادى ، ما عدا حالات نادرة ، لا يزال متدنيا حتى فى أيامنا .

ولكن شعوب البلدان المستعمَرة والتابعة لم تستسلم للاضطهاد ابدا . فقد تصـــــــدت للمستعمرين ، وقدمت من اوساطها آلاف المناضلين

الشجعان ، الذين كافحوا من أجل الحرية والاستقلال . ولكن هذه التحركات كانت تُقمع ، كقاعدة عامة . ومن ذلك أنه فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لم يصب النجاح ايا من تحركات الجماهير الشعبية في آسيا وافريقيا ضد المستعمرين . اما شعوب امريكا اللاتينية فاستطاعت خلع النير الاسباني والبرتغالى بنتيجة ثورات التحرر الوطنى فى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، ولكنها وقعت فى تبعية دول امبريالية أخرى ، ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية .

ولم يكن لحركة التحرر الوطنى ان تصل الى اهدافها الا بعد اقامة صلات وثيقة بينها وبين نضال الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية .

وكانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى انعطافا حاسما فى نضال الشعوب التحررى . فقد هزت أعمق اسس الامبريالية ، فأعطت زخما قويا لحركة الشعوب التحررية الوطنية ، وفتحت امامها آفاق النصر على المستعمرين . وصارت الدولة الاشتراكية الاولى مصدرا لا ينفد من الدعم المعنوى والسياسى لشعوب العالم المضطهدة . وألهم هذه

الشعوب مثال جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية ، التى قطعت ، خلال فترة تاريخية قصيرة ، سبيلا طويلا من التخلف الاستعمارى الى الازدهار الشامل للاقتصاد الوطنى والثقافة القومية .

وبنتيجة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) بدأت مرحلة جديدة فى نضال التحرر الوطنى . فهزيمة قوى الرجعية والفاشية العالمية ، فى ظل الدور الحاسم للاتحاد السوفييتى ، فى الحرب العالمية الثانية ، والضعف الكبير الذى أصاب مواقع الامبريالية ، وتشكل المنظومة الاشتراكية العالمية ، والحركة الثورية للطبقة العاملة العالمية — هذه العوامل كلها وفرت الظروف الملائمة لتصعيد النضال التحررى الوطنى . وأنزلت بالامبريالية ضربة قوية جديدة ، فتداعت المنظومة الاستعمارية . وفى الاربعينات والخمسينات انهارت الانظمة الاستعمارية فى آسيا ، وفى الستينات والسبعينات — فى افريقيا . وحققت شعوب امريكا اللاتينية نجاحات كبيرة فى نضالها التحررى . وخلال فترة تاريخية وجيزة صفيت الامبراطوريات الاستعمارية ، البريطانية والفرنسية والهولندية والبلجيكية والبرتغالية ،

التى اقيمت على امتداد قرون عدة . وخلع أكثر من مليارى شخص نير الاستعمار ، وحصلوا على الاستقلال الوطنى . وتحرر من التبعية الاستعمارية وشبه الاستعمارية أكثر من ١٢٠ بلدا فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

وكان انهيار المنظومة الاستعمارية الامبريالية ثانى أهم الاحداث (بعد تشكل المنظومة الاشتراكية العالمية) العالمية الشأن ، وانجازا كبيرا للبشرية جمعاء .

ويحاول ايديولوجيو الامبريالية تصوير الأمر وكأن المستعمِرين هم الذين قاموا طوعا بمنح الاستقلال للشعوب المضطهدة ، وكان كذلك ، على حد زعمهم ، بسبب تغير طبيعة الرأسمالية . ولكن المسألة ليست ابدا فى «نوايا المستعمرين الطيبة» . كذلك وليست فى «التوسع السوفييتى» ، الذى يزعمون أنه يسعى لتصدير الانظمة السوفييتية الى البلدان الاخرى . وان نظرية الاصل «الاجنبى» لثورات التحرر الوطنى تتسم بطابع العداء للشيوعية ، وتشكل اهانة لمشاعر الشعوب التى قامت بهذه الثورات . وهى تتجاهل النضال المتفانى

المديد لكل من هذه الشعوب ولطليعتها ، وتتجاهل الضحايا التي قدمتها باسم الحرية والاستقلال الوطني .

لقد انهارت المنظومة الاستعمارية الامبريالية تحت ضربات **ثورات التحرر الوطني** .

وبين ابرز احداث العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت **الثورة الكوبية** ، التي انتصرت في الاول من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٩ . وتتأكد أهمية هذا النصر في ضوء حقيقة ان كوبا بلد جزيرة صغير ، كان تعداد سكانه آنذاك حوالي ستة ملايين ، ويقع بعيدا عن الاتحاد السوفييتي وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى ، ولا يفصله الا ٩٠ ميلا عن اكبر دولة امبريالية ، تلعب دور الدركي العالمي .

ان مثال كوبا ذو شأن كبير بالنسبة للشعوب التي تناضل من أجل التحرر ، بما في ذلك بلدان امريكا اللاتينية . فقبل انتصار الثورة الاشتراكية لم تكن الا قلة قليلة من الناس في امريكا اللاتينية تؤمن بامكانية الانتصار ، في السنوات القريبة ، على العدو القوي — على الامبريالية الامريكية .

فقبل الثورة كانت كوبا تعانى عمليا من التبعية الكاملة للامبريالية الامريكية ، التى كانت تستنزف الاقتصاد الكوبـى . وكانت الحكومات المعادية للشعب ، والمتربعة على كرسى الحكم ، تقمع بعنف بالغ الحركة الديمقراطية ، ولا تتورع عن استخدام اقسى التدابير وكانت هذه الحكومات خادمة امينة للامبريالية الأمريكية .

وكان الاضطهاد الاقتصادى والسياسى يترافق بالاضطهاد القومى واللامساواة العرقية . فكان السود أكثر السكان حرمانا من الحقوق ، وكانوا يتعرضون لابشع اشكال الاستغلال . وقد ولدت التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحادة استياء عميقا لدى الشعب الكوبى . ونشط النضال التحررى .

وقد جاء انتصار الثورة الكوبية حصيلة مجمل تاريخ النضال المديد للشعب الكوبى من اجل حرية بلاده واستقلالها ، حصيلة تصدى القوى الوطنية والديمقراطية الباسل للتدخل العسكـــرى الاجنبى ، وكفاحها المتفانى من اجل التحرر والتقدم الاجتماعى .

ويبين مثال كوبا للعالم كله ان الثورة لا تقحم من الخارج ، ولا تأتى نتيجة «تصدير الثورة» ، كما يزعم باستمرار ايديولوجيو البرجوازية ، وانما تجرى فى الحالة الثورية الملموسة فى هذا البلد او ذلك .

ان نشوب الثورة فى كوبا هو حصيلة تناقضات البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التى اوصلها نظام الدكتاتور باتيستا الى اقصى حدودها . وفى هذا الوضع لم تعد الطبقة العاملة ، المدينية والريفية ، والطلاب والمثقفون والبرجوازية الوطنية يرضون بالعيش على الطريقة القديمة ، ولم يعد بوسع الحاكمين تسيير الامور على النحو السابق . وهكذا نضجت الازمة السياسية العامة على نطاق البلاد كلها ، مما ادى الى الثورة ، التى بدأت كثورة ديمقراطية شعبية ، زراعية ومعادية للامبريالية . وقد ساهمت فيها اوسع القوى الديمقراطية والوطنية الكوبية .

وبعد اسقاط دكتاتورية باتيستا انتقلت السلطة فى البلاد الى ايدى تحالف الجماهير الشعبية ، الذى كانت تلعب الدور القيادى فيه الطبقة العاملة

والفلاحون الكادحون ، المتمثلون فى جيش الثوار وقيادته الثورية .

وفور استلام السلطة شرعت الحكومة الثورية ، برئاسة فيديل كاسترو ، باجراء تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية لصالح الطبقات الكادحة ، التى تشكل عماد الثورة المظفرة . وفى نيسان (ابريل) ١٩٦١ تم اعلان الثورة الكوبية ثـــورة اشتراكية .

ان السمة المميزة للمرحلة الانتقالية التى مرت بها الثورة الكوبية من النمط الديمقراطى الشعبى ، الزراعى والمعادى للامبريالية ، الى النمط الاشتراكى كانت تقوم فى قصر مدتها ، وفى أن هذا الانتقال جرى بقيادة العناصر الثورية ذاتها . أما مشكلة السلطة السياسية فقد حلت منذ بداية الثورة ، وبالنسبة لمرحلتيها كلتيهما . ففى المرحلة الأولى كانت هى الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للجماهير الشعبية (للعمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة المدينية وغيرهم) ، الموجهة ضد سيطرة الامبريالية والطغمة الاوليغارشية البرجوازية الاقطاعية ، وفى المرحلة الثانية ـــ دكتاتورية البروليتاريا بالتحالف مع

الفلاحين الكادحين ، والموجهة الى بناء المجتمع الاشتراكى .

وفى مجرى الثورة الكوبية تجلت على أكمل وجه القانونيات الملازمة للثورة الاشتراكية ، والتى اكتشفها العلم الماركسى اللينينى . وفى الوقت ذاته تميزت هذه الثورة بعدد من الخصائص ، التى تعود الى السمات الوطنية الملموسة ، والى الوضع الدولى .

ان تاريخ الثورة فى كوبا هو تاريخ النضال المستمر الذى لا يتوقف يوما واحدا ، ضد دسائس الامبريالية واعمالها التخريبية ، ولا سيما مكائد امبرياليى الولايات المتحدة الامريكية .

ان اعداء الثورة الكوبية مستعدون للاقدام على كل شيء . فهم لا يتورعون عن محاولات التدخل العسكرى (كما حصل عام ١٩٦١) ، ولا عن التهديد والشانتاج ، عن الحصار الاقتصادى واستخدام القتلة المأجورين ، حتى ونشر الامراض والأوبئة بهدف الضرر بالاقتصاد والاخلال بسير الحياة العادى فى البلاد . ولكن الشعب الكوبى البطل ، الملتف حول سلطته الثورية ، صد غزو

القوى الرجعية ، وذاد عن مكتسباته . وقد استند في ذلك الى الدعم الاممى للطبقة العاملة العالمية وللجماهير الكادحة العريضة فى العالم كله ، الى تضامن البلدان الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفييتى الذى قدم لكوبا مساعدة أخوية شاملة .

وفى فترة تاريخية وجيزة امكن للشعب الكوبى حل مهام جليلة الشأن . فبقيادة الحزب الشيوعى الكوبى احرز نجاحات اجتماعية سياسية كبيرة فى بناء الاشتراكية . وتشغل كوبا اليوم مكانة لائقة فى اسرة البلدان الاشتراكية ـــ القوة الاساسية فى النضال من أجل السلام والتقدم الاجتماعى على الأرض . وان السياسة المبدئية المعادية للامبريالية ، والتضامن الكفاحى مع الشعوب المناضلة من اجل حريتها واستقلالها ، قد حولا كوبا الى واحد من زعماء حركة عدم الانحياز ، التى تشكل عاملا هاما فى الحياة الدولية المعاصرة .

وكان انتصار **الثورة الديمقراطية الشعبية فى نيكاراغوا** (**١٩٧٩**) انجازا كبيرا للحركة التحررية فى امريكا اللاتينية .

فمنذ عام ١٩٣٦ كان شعب البلاد يعيش

فى ظل الدكتاتورية العسكرية السياسية العنيفة ، التى ترتكز الى دعم الولايات المتحدة الامريكية .
أما مؤسس هذا النظام الارهابى فكان ساموزا — الأب ، الذى نظم القتل الغادر لبطل البلاد الوطنى — اوغسطو ساندينو . وبمساعدة الامبريالية الامريكية أمكن لعائلة ساموزا أن تحتفظ بالسلطة ردحا طويلا من الزمن .

وفى النصف الثانى من السبعينات شهد تاريخ النضال التحررى لشعب نيكاراغوا نموا كبيرا للقوى المعارضة ، والتفافها حول جبهة ساندينو للتحرر الوطنى ، التى ظهرت عام ١٩٦١ ، وخاضت الكفاح ضد النظام الدكتاتورى على امتداد عدة سنين .

وفى عامى ١٩٧٨ — ١٩٧٩ اجتاحت البلاد كلها موجة من التحركات والتظاهرات المعادية للدكتاتورية ، واتسع نطاق حرب الانصار . وفى ١٩ تموز (يوليو) ١٩٧٩ سقطت دكتاتورية ساموزا تحت ضربات الثوار الوطنيين .

وقد ضمت اجهزة السلطة الجديدة ممثلين عن القوى الديمقراطية والوطنية . وشرعت حكومة

الانبعاث الوطنى بنيكاراغوا باجراء تحولات زراعية تقدمية ، وبانعاش الاقتصاد الذى أصيب بخسائر فادحة من جراء الحرب الأهلية . وسنت مراسيم تقضى بنزع ملكية عائلة ساموزا ، وبتأميم البنوك الخاصة والمناجم والتجارة الخارجية ، وبحل الحرس الوطنى — عماد النظام الدكتاتورى ، وبانشاء قوى مسلحة جديدة — جيش ساند ينو الشعبى . وينص برنامج التعمير على القيام بتحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة لصالح الجماهير الكادحة .

وكانت ثورة نيكاراغوا ، من حيث طابعها ، ثورة ديمقراطية ، معادية للاوليغارشية وللامبريالية . أما القوى المحركة للثورة فى المرحلة الأولى ، المعادية للدكتاتورية ، فكانت تتمثل فى كافة طبقات المجتمع وشرائحه : العمال ، والفلاحون ، والفئات الوسطى المدينية ، والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، والموظفون ، ورجال الدين ، والمثقفون ، والطلبة ، الخ .

وبعد خلع ساموزا اسفر الاستقطاب السياسى عن تقدم الطبقة العاملة الى المواقع الطليعية ، أما البرجوازية المحلية والشرائح الوسطى فانتقلت

عمليا الى المعارضة . وفي هذه الظروف دخلت الثورة في نيكاراغوا طورا جديدا في مسيرتها ، ذا آفاق اشتراكية .

ويحاول الامبرياليون الامريكيون كبح جماح الثورة في نيكاراغوا . وهم يشنون عمليا «حربا غير معلنة» ضد نيكاراغوا . ومنذ ربيع ١٩٨٣ بدأ التنظيم المتواصل للأعمال التخريبية من قبل العصابات الكبيرة التي تشن هجماتها من أراضي البلاد المجاورة ، ويجري اعدادها وتسليحها بتمويل وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية . وتقوم هذه العصابات بتدمير المصانع والفبارك والتعاونيات الفلاحية والجسور ومستودعات الوقود ، وبقتل الناس المسالمين . ويقوم موظفو وكالة الاستخبارات المركزية والبنتاغون ، المتواجدون في هندوراس المجاورة ، بالمشاركة المباشرة في تخطيط الاعمال العسكرية ضد نيكاراغوا . وتمارس الطائرات العسكرية الامريكية ، المزودة بالأجهزة الالكترونية الحديثة ، المراقبة الدائمة لاراضي نيكاراغوا ، وتزود العصابات المضادة للثورة بالمعلومات التجسسية . وعلى نحو دائم يجوب اسطول من

السفن الحربية الامريكية سواحل البلاد . وهكذا فان احداث نيكاراغوا تقدم مثالا كلاسيكيا على تصدير الامبريالية للثورة المضادة .

وفي مواجهة مثل هذا الخطر الجدى ، الذى يتهدد نيكاراغوا ، نهض شعبها لحمل السلاح ، وتتخذ قيادة البلاد التدابير الضرورية لاحباط مخططات الادارة الامريكية للتدخل العسكرى .

وتحظى ثورة نيكاراغوا الديمقراطية الوطنية بتضامن الاتحاد السوفييتي وكوبا وبلدان اشتراكية اخرى . والى جانبها تقف بلدان امريكا اللاتينية وبلدان قارات أخرى ، وحركة عدم الانحياز . وليس هذا بالمستغرب . ففي أيامنا يمكن للحركة الثورية في اى بلد ، يمكن لكافة الشعوب المناضلة من أجل التحرر الوطني والاجتماعى ، التعويل على الدعم الاممى من طرف كافة القوى التقدمية والمعادية للامبريالية .

وفي السبعينات تميز تطور افريقيا بتوسع العملية الثورية وتعمقها . وفي هذه الظروف جرت عام **١٩٧٤ الثورة الديمقراطية الوطنية في اثيوبيا .**

وقد جاءت هذه الثورة حصيلة تناقضات اجتماعية

وقومية بالغة الحدة ، وتأزم عميق لمجمل نظام السلطة ، واستياء عام شمل البلاد كلها . وكانت جماهير الشعب فى البلاد تعيش تحت نير ثلاثى — اقطاعى ملكى ، ورأسمالى ، واستعمارى جديد . وقبل الثورة كانت اثيوبيا بلدا زراعيا متخلفا ، ذات مستوى متدن لتطور الزراعة والصناعة ، ويعيش اغلبية سكانها فى حالة من البؤس والامية . فتشير المعطيات الرسمية لهيئة الامم المتحدة أن اثيوبيا كانت تشغل احدى المراتب الاخيرة فى افريقيا من حيث متوسط الدخل السنوى للفرد . وكان الشعب محروما من أبسط الحريات الديمقراطية والحقوق الاجتماعية . وكان نشاط الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية ، ما عدا الجمعيات الخيرية والنقابات الموالية للحكومة ، ممنوعا قطعا . وكان النظام الملكى الاقطاعى العائق الرئيسى على طريق تطور البلاد الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى .

وبنتيجة ذلك ظهرت عام ١٩٧٤ حالة ثورية فى البلاد . فقد غطتها موجة الاضرابات والانتفاضات الفلاحية والهيجانات الطلابية . وبدأ

التذمر فى الجيش . وفى هذه الظروف كان طبيعيا وحتميا تحرك الشعب الاثيوبى ، الذى بلغ حد اليأس ، وقيامه بالانتفاضة ، والاطاحة بالملكية ، وانتصار الثورة ، التى اعلنت ، منذ الخطوات الأولى ، عن اهدافها المعادية للاقطاعيـــــة وللامبريالية .

وتسعى القوى الامبريالية وعملاؤها الى الاطاحة بالنظام الثورى فى اثيوبيا ، وتشن عليه الحملات المعادية . ففى صيف ١٩٧٧ وقعت اثيوبيا ضحية العدوان الصومالى ، الذى شجعت عليه الولايات المتحدة الامريكية . ولكن الثورة صمدت للعدوان ، وردته على اعقابه .

ويقوم الشعب الاثيوبى اليوم بتصفية المخلفات الاقطاعية ، وانشأ حزب العمال الاثيوبى ، الذى يقود عملية انجاز واحدة من اهم مراحل تطور الثورة — توفير الظروف المواتية للانتقال الى بناء الاشتراكية .

وكانت **ثورة نيسان (ابريل) ١٩٧٨ بافغانستان** اكبر حدث شهده تاريخ شعب هذا البلد العريق . فقد جاءت انعطافا حاسما من اشكال الاستغلال

الاقطاعية الرأسمالية الى اقامة السلطة الشعبية ، وتصفية التناحرات القومية ، والقضاء على كافة ألوان الاضطهاد واللامساواة . وهذا الانعطاف التاريخي ادى الشعب الافغاني الى طريق تذليل التخلف الاقتصادي والتكنيكي والعلمي والثقافي ، طريق التطور الوطني المستقل والتقدم الاجتماعي .

وتقوم السلطة الشعبية في افغانستان اليوم بحل المهام النابعة من ثورة نيسان ١٩٧٨ . وينص برنامج التحولات الاقتصادية الاجتماعية ، الذي طرحته حكومة البلاد ، على المضي قدما في تحقيق المراحل اللاحقة من الاصلاح الزراعي الرامي الى تصفية بقايا الأقطاعية في الريف ؛ وتعزيز دور قطاع الدولة في الاقتصاد ؛ وتطوير اللغات والثقافات القومية لكل الشعوب والقبائل ؛ وتصفية بقايا نفوذ الاستعمار والاستعمار الجديد في كافة ميادين الحياة . وبين المهام الرئيسية تطرح القيادة الافغانية تذليل تخلف البلاد الاقتصادي . وبدأت في البلاد حملة وطنية لمحو الأمية ، وتتخذ اجراءات لتطوير نظام الصحة ورفع مستوى حياة الكادحين . وكان من شأن الكثير مـــن

المشكلات أن يلقى حله لولا التدخل الاجرامي من قبل الولايات المتحدة والباكستان وبلدان أخرى .
وتبين الوقائع أنه من أراضي الباكستان المجاورة تشن ضد افغانستان حرب حقيقية غير معلنة ، تنظمها وتدعمها الولايات المتحدة قبل غيرها . فتتسرب الى افغانستان العصابات ، المدربة باشراف الخبراء الامريكيين ، والمسلحة باسلحة الناتو ، بما فيها المدفعية والصواريخ ، وتقوم هذه العصابات بمهاجمة المؤسسات الحكومية والمـــــدارس والمستشفيات والمساجد والمدن والقرى ، وبتصفيات دموية للسكان المسالمين .
وبناء على الرجوات المتكررة من قبل قيادة جمهورية افغانستان الديمقراطية قام الاتحـــــاد السوفييتي ، تنفيذا لواجبه الاممي في تقديم العون للشعب الافغاني لرد العدوان المسلح الخارجـــي ، بارسال قطعات عسكرية محدودة الى افغانستان . وقد تم ذلك بالاتفاق الكامل مع المادة ٥١ من ميثاق هيئة الامم المتحدة ومع المادة ٤ من اتفاقية كانون الأول ١٩٧٨ للصداقة وحسن الجوار والتعاون بين افغانستان والاتحاد السوفييتي . ان

الاتحاد السوفييتى يؤيد الحل السياسى للمشكلة الافغانية ، ويعبر عن استعداده ، بالاتفاق مع الحكومة الافغانية ، لسحب كامل قواته شريطة التوقف التام لارسال العصابات المضادة للثورة الى افغانستان .

ان لكل من الثورات ، التى تمت فى كوبا ونيكاراغوا واثيوبيا وافغانستان والبلدان الاخرى ، خصوصيتها ، التى تنبع ، فى المقام الأول ، من الظروف التاريخية الملموسة . وقد بلغت هذه البلدان مستويات مختلفة على طريق بناء الحياة الجديدة .

أما السمة العامة لهذه التحولات الثورية كلها فهى كونها تمثل ثورات ديمقراطية شعبية معادية للامبريالية .

وتشكل **ثورة التحرر الوطنى** أعلى مراحل حركة التحرر الوطنى ، أى اعلى مراحل نضال الشعوب المضطهَدة فى سبيل استقلالها السياسى والاقتصادى . وثورات التحرر الوطنى هى الثورات ، التى نمت من حركات التحرر الوطنى ، وترمى الى القضاء على السيطرة الاجنبية ، السياسية

والاقتصادية والايديولوجية ، والى اقامة الدولة المستقلة ذات السيادة . وهى تمثل قفزة الى نوعية اجتماعية جديدة حين يتم حل التناقضات بين الشعوب المضطهَدة وبين الامبريالية .

ان ثورات التحرر الوطنى تحل التناقضات فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الطبقية والروحية . ففى الميدان الاقتصادى — التناقض بين متطلبات تطور القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج الاستعمارية البالية . وفى الميدان السياسى — بين ضرورة السيادة الوطنية وبين السيطرة السياسية للامبريالية فى المستعمرات . وفى ميدان العلاقات الطبقية — بين تحالف الامبريالية مع الاوساط الرجعية المحلية وبين اغلبية الكادحين والمضطهدين من ذوى الامزجة المعادية للامبريالية : العمال ، والفلاحين ، والبرجوازية الصغيرة ، والانتلجنسيا ، والعناصر الوطنية فى الجيش ، والبرجوازية الوطنية الديمقراطية . وفى ميدان الحياة الروحية — بين متطلبات التقدم الثقافى للأمة المضطهَدة وبين الاضطهاد الروحى من طرف الامبريالية .

والمسألة الاساسية فى ثورة التحرر الوطنى ، كما فى كل ثورة اجتماعية ، هى مسألة السلطة السياسية . وفى ثورة التحرر الوطنى يجرى نقل سلطة الدولة من الاحتكارات الاجنبية وعملائها (القوى الرجعية داخل البلاد) الى القوى الوطنية والديمقراطية للشعب المضطهَد من قبل .

والمهام الاساسية لثورات التحرر الوطنى هى المهام الوطنية العامة : النضال المعادى للاقطاعية وللامبريالية ضد القوى الرجعية الداخلية ، والكفاح المعادى للامبريالية ضد الاضطهاد الاجنبى ، واشاعة الديمقراطية فى كافة جوانب الحيـــاة الاجتماعية .

ان طابع ثورات التحرر الوطنى ومهامها تحدد القوى المحركة ، التى تساهم فى حل المهام المعادية للامبريالية وللاقطاعية . فالقوى المحركة لثورات التحرر الوطنى المعاصرة تتمثل فى البروليتاريا الناشئة والمتنامية ، والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الوطنية ، وشريحة المثقفين المدنية والعسكرية . وكل هذه الطبقات والشرائـــــــح الاجتماعية ، التى تشكل اغلبية السكان (باستثناء

الفئات الموالية للامبريالية أو البرجوازية الكمبرادورية ، والزعامة الاقطاعية) معنية بحل المهام الوطنية العامة ، المهام المعادية للامبريالية وللاقطاعية ، ولها مصلحة فى التحولات الديمقراطية للحياة الاجتماعية .

وعلى مشارف ثورات التحرر الوطنى كانت البلدان المختلفة فى مستويات متفاوتة من التطور الاقتصادى والسياسى ، الامر الذى يحدد الاختلاف فى بنيتها الاجتماعية . فتعداد الطبقة العاملة ومدى تنظيمها ودرجة وعيها لم تكن واحدة ابدا فى البلدان المختلفة . ومن هنا يأتى تفاوت دورها فى ثورات التحرر الوطنى من بلد الى آخر .

ففى بعض البلدان كانت البروليتاريا تشكل قوة هامة من قوى ثورة التحرر الوطنى ، حتى وتزعمتها بقيادة الحزب الماركسى اللينينى . وقد ضمن هذا تنامى ثورة التحرر الوطنى لاحقا الى ثورة اشتراكية (الصين ، فيتنام ، كوريا ، كوبا) . وفى بلدان أخرى ، وبسبب قلة تعداد الطبقة العاملة وتشتتها بين المؤسسات الصغيرة وغلبة الامية بين صفوفها وتدنى مستوى تنظيمها واعدادها الفكرى ، لم يقدّر لها

أن تمارس التأثير الحاسم على مجرى ثورة التحرر الوطنى ونتائجها .

ولكن فى كافة البلدان التابعة ، بلا استثناء ، وبحكم الوضع الفعلى للطبقة العاملة ، تكون هذه الطبقة هى الفئة الاكثر مقدرة على التعبير عن المصالح الحيوية الجذرية للشعب كله ، وتكون — كما تبين التجربة — القوة الاكثر حزما واتساقا فى عدائها للامبريالية ، والاكثر مقدرة على قيادة الشرائح الواسعة من الجماهير الكادحة .

وقد شهد الكثير من البلدان النامية فى العقود الأخيرة نموا سريعا لتعداد الطبقة العاملة ، التى تضم فى صفوفها اليوم اكثر من ٥٠ مليون شخص ، او حوالى ٢٥ بالمئة من التعداد الاجمالى لجيش العمل المأجور . ثم أن الطبقة العاملة الصناعية تتزايد بوتائر ، أسرع بمرتين او ثلاث من وتائر نمو السكان ككل .

وفى عدد من البلدان يشكل الفلاحون القوة الاساسية والأكثر تعدادا بين القوى المحركة لثورة التحرر الوطنى . ويتعرض الفلاحون فى البلدان المستعمرة والتابعة لاضطهاد مزدوج — من قبل

الاقطاعيين المحليين ومن قبل الاحتكاريين الاجانب . وبالنسبة لهم يرتبط القضاء على الاضطهاد الاستعماري ارتباطا وثيقا بتصفية المخلفات الاقطاعية فى الريف ، وبحل المسألة الزراعية الخاصة بالارض .

والبرجوازية طرف من اطراف هذه الحركة ، ذو طابع متناقض . فمواقف فصائلها المختلفة من النضال التحررى الوطنى قد تتفاوت حتى التناقض . فالبرجوازية العليا الرجعية ، المرتبطة بالامبريالية ، تتخذ عادة موقف العداء حيال القوى الوطنية . وهى تمثل ، مع الاقطاعيين ، حصن دولة الامبريالية الاجنبية فى البلدان المستعمرة والتابعة .

اما ما يسمى بالبرجوازية الوطنية فتشغل موقفا مغايرا . فهى ، بحكم كونها توظف رساميلها فى الانتاج ، معنية باقامة السوق الوطنية وحمايتها من الاحتكارات الاجنبية . وهى ترى السبيل الى ذلك فى انشاء الدولة الوطنية والتحرر من التبعية الاجنبية . ولذا فانها تسعى ليس فقط الى الالتصاق بحركة التحرر الوطنى ، بل وحتى الى بسط اشرافها عليها .

ان التطلعات المعادية للامبريالية وللاقطاعية لدى البرجوازية الوطنية تؤدى الى تطابق مصالحها مع مصالح الأمة فى مراحل معينة من مسيرة الثورة . ففى بلدان عديدة نهض من أوساط البرجوازية الوطنية النزعة زعماء بارزون للحركة التحررية ، عملوا على تزويدها بشعاراتهم .

ولكن مواقف البرجوازية فى ثورة التحرر الوطنى تفتقر الى الاتساق وتعانى من التناقض . فهى تخاف من العمال والفلاحين ، وتتهيب التغيرات الجذرية التى تمس بمصالحها التملكية ، وتميل الى المساومة مع المستعمرين على حساب الجماهير الشعبية .

وتلعب الانتلجنسيا الوطنية دورا هاما ، حتى وقياديا أحيانا كثيرة ، فى حركة التحرر الوطنى . ففى البلدان ، التى لم تتشكل فيها الطبقة العاملة بعد كقوة مستقلة ، وتمارس فيها البرجوازية سياسة موالية للامبريالية ، يقف المثقفون بالذات على رأس الثورة والدولة .

وتساهم الشرائح «المتوسطة» (البرجوازية الصغيرة) بقسط فعال فى ثورات التحرر الوطنى . وهذه

الشرائح ، التى تشمل الحرفيين وصغار التجار وامثالهم ، كثيرة العدد وذات نفوذ ، ولا سيما فى بلدان افريقيا .

وان كلا من الطبقات المختلفة تدافع ، فى نهاية المطاف ، عن مصالحها الطبقية فى ثورة التحرر الوطنى . ولذا فان البلدان المستعمرة والتابعة تشهد بقاء التناقضات الاجتماعية الداخلية بين الطبقات (بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين الفلاحين والاقطاعيين ، بين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية ، الخ) . ويعود هذا الى وجود اضطهاد مزدوج : قومى وطبقى . ففى المرحلة الاولى من ثورة التحرر الوطنى ، مرحلة النضال من أجل الاستقلال السياسى ، تحل التناقضات القومية بين الأمة المضطهِدة والمضطهَدة . ولكن هذا لا يستبعد التناقضات الطبقية الداخلية أبدا .

ان ثورات التحرر الوطنى فى عصرنا تشكل ، من حيث المضمون الاجتماعى ، نمطا جديدا من الثورة الديمقراطية . فهى ذات وجهة معادية للامبريالية ، وفى الوقت ذاته تكون ، فى بلدان كثيرة ، مناوئة للعلاقات الاقطاعية (حتى وللعلاقات

ما قبل الاقطاعية احيانا) التى تدعمها الامبريالية .
وتهدف ثورات التحرر الوطنى ليس فقط الـــى التحرر السياسى للبلدان المستعمرة والتابعة سابقا ، بل والى تحررها الاقتصادى أيضا . وليس بوسع شعوب البلدان المتحررة ، التى تظل فى تبعية اقتصادية للامبريالية ، أن تسير فى طريق التقدم الاجتماعى والسياسى . وهذا ناهيك عن أن التبعية الاقتصادية تشكل خطرا دائما وجديا على استقلالها السياسى .

وفى مجرى ثورة التحرر الوطنى تحل مسألة اختيار سبيل التطور اللاحق للبلدان المستعمرة والتابعة سابقا .

ففى عدد من البلدان تمت ثورة التحرر الوطنى بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الماركسى اللينينى ، وبالتحالف مع الفلاحين (كوريا الديمقراطية ، فيتنام والخ) ، واعتمدت على المساعدة الشاملة التى قدمها الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى انطلاقا من مبادئ الاممية البروليتارية . ويمكن لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين أن يتشكل ويتوطد فى مجرى النضال نفسه من أجل التحرر

الوطنى والتحوير الاجتماعى والاقتصادى (كما هو الحال فى كوبا ، مثلا) ، وفى هذه البلدان تنمو الثورة بوتائر سريعة نسبيا نحو ثورات النمط الاشتراكى .

وفى العصر الحاضر قد تقوم ثورات تحرر وطنى ، لا تخرج عن اطار الثورات البرجوازية النمط ، وان كانت تساهم عموما فى نسف مواقع الامبريالية العالمية (كما فى الهند والسنغال ونيجيريا وكينيا) . وفى البلدان ، التى راحت بعد التحرر تتطور فى السبيل الرأسمالى ، كانت القوة المحركة لثورات التحرر الوطنى تتمثل ، هنا أيضا ، فى جماهير الشعب الكادحة العريضة ، ولكن القيادة السياسية والسلطة كانتا بيد البرجوازية الوطنية . ثم ان التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى هذه البلدان ، وبرغم وجهتها المعادية للامبريالية (اقامة قطاع الدولة ، والاصلاح الزراعى وما الى ذلك) ، تجرى أساسا لما فيه خدمة المصالح الطبقية للبرجوازية الوطنية . وهذه الثورات تنتمى ، من حيث الطابع ، الى أحد أشكال الثورات البرجوازية الديمقراطية ، ذات الوجهة المناوئة للامبريالية .

وفى الوقت ذاته فان الميزان الحالى للقوى

الطبقية فى العالم ، والظروف التاريخية الجديدة ، تفتح أمام كادحى البلدان المتحررة امكانيات للتطور فى الطريق اللارأسمالى ، فى طريق التوجه الاشتراكى .

وقد سبق لماركس وانجلس طرح فكرة سير الشعوب الى الاشتراكية بدون المرور بمرحلة التطور الرأسمالى . فقد كانا يريان أن بامكان الشعوب المتخلفة «أن تختصر سيرورة تطورها نحو المجتمع الاشتراكى» * ، ويذهبان الى أن من شأن ذلك أن يجنب الشعوب الآلام الكبيرة وهدر الحيوات البشرية والقوى المنتجة ، الذى يتسبب به ، لا محالة ، الرأسمال الناشئ الذى «ينفث الدم والوسخ من كافة مسامه ، من أعلى رأسه الى أخمص قدميه» ** .

وكان ماركس وانجلس يربطان امكانية تجنب

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٢ ، ص ٤٤٦ .

** ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، ص ٧٧٠ .

الشعوب ، المتخلفة فى تطورها الاقتصادى والاجتماعى ، للمرحلة الرأسمالية بأن تقدمية الرأسمالية قد استنفدت ، وبامكانية انتصار الثورات الاشتراكية فى اوروبا وتعاظم تأثيرها الحاسم على مصائر الشعوب المتخلفة .

كذلك نوه ماركس وانجلس بضرورة مساعدة البلدان الاشتراكية للبلدان المتخلفة التى دخلت سبيل «التطور المختصر» ، وأكدا على أهمية مثال التحوير الاشتراكى للمجتمع * .

وفى العصر التاريخى الجديد طور لينين نظرية ماركس وانجلس حول امكانية انتقال الشعوب المتخلفة الى الاشتراكية متخطية الرأسمالية .

فقد فتح انتصار ثورة اكتوبر أمام البلدان المتحررة ، ولاول مرة فى التاريخ ، امكانية عملية لتخطى الرأسمالية وللانتقال فورا الى بناء الاشتراكية .

وجاء انهيار المنظومة الاستعمارية الامبريالية ، واختيار البلدان المتحررة لسبيل تطورها اللاحق ،

---

* انظر : ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٢ ، ص ٤٤٦ .

فطرحا مسألة تطبيق نظرية التطور اللارأسمالى فى بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وفى ظروف تحول المنظومة الاشتراكية العالمية الى عامل حاسم فى التطور الاجتماعى العالمى ، والتغير الجذرى لميزان القوى لصالح الاشتراكية ، توسعت امكانية اختيار الطريق اللارأسمالى .

ففى البلدان النامية تنامت حركة التحرر الوطنى الثورية الجماهيرية ، وظهرت الاحزاب الديمقراطية الثورية ، واشتد عود الاحزاب الماركسية اللينينية .

وفى الظروف الحالية ، حيث يؤدى الطريق الرأسمالى فى ممارسة عدد من البلدان النامية الى اشكال جديدة من الاستعباد الاقتصادى والسياسى ، تأتى امكانيات الانتقال الى التطور اللارأسمالى لتوفر افضليات جذرية . واخيرا ، فان مقدمات الانتقال الى طريق التطور اللارأسمالى ترتبط أيضا بضرورة تحرر الكادحين الاجتماعى ليس فقط من نير الامبريالية ، بل ومن القوى الرجعية الداخلية .

ان عدد الدول ، التى اختارت سبيل التوجه الاشتراكى ، ينمو باستمرار . ويبلغ التعداد الاجمالى لها حوالى ٢٠ بلدا .

فما هو الجوهر الاقتصادى الاجتماعى لطريق التطور اللارأسمالى ؟ ليس الطريق اللارأسمالى طريقا «ثالثا» ، يختلف عن الرأسمالية والاشتراكية معا .

ولا يجوز المطابقة بين الطريق اللارأسمالى والطريق الاشتراكى ، فبدون ثورة اشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا يتعذر بناء الاشتراكية .

ان طريق التطور اللارأسمالى طريق ذو آفاق اشتراكية ، مرحلة تمهيدية للاشتراكية ، توفر فيها المقدمات الموضوعية ، والذاتية (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية) للثورة الاشتراكية . ويتيح هذا الكشف عن العام ، الذى يوحد بين بلدان التوجه الاشتراكى وبين الاسرة الاشتراكية العالمية : النضال ضد الامبريالية على الصعيد العالمى والذود عن مصالح الكادحين ، والكفاح من أجل تصفية العلاقات الاستغلالية ، من أجل التقدم الاقتصادى الاجتماعى لهذه البلدان . ثم أن هذا التحديد لطريق التطور اللارأسمالى يسمح بالتمييز الدقيق بينه وبين المرحلة الديمقراطية فى المسيرة نحو المرحلة الجديدة ، التى تفتحها الثورة

الاشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتاريا .

ان السير فى طريق التطور اللارأسمالى ببلدان آسيا وافريقيا يجرى فى ظروف دولية جديدة ، تلعب فيها المنظومة الاشتراكية العالمية دورا متزايدا فى تحديد التقدم الاجتماعى العالمى ، وفى رسم السبيل الرئيسى لتطور البشرية . ثم ان للظروف الداخلية لتطور بلدان التوجه الاشتراكى خصوصياتها المتميزة . ومن ذلك : ضعف الطبقة العاملة الوطنية (كما وتنظيما وايديولوجيا) أو حتي الغياب التام لها لحظة اختيار طريق التطور اللارأسمالى ؛ والقيادة السياسية من طرف الاحزاب الديمقراطية الثورية . وبين أهم سمات تطور هذه البلدان يأتى كون كافة بلدان التوجه الاشتراكى فى آسيا وافريقيا لا تشكل جزءا من المنظومة الاقتصادية الرأسمالية العالمية ، ولكنها ، فى الوقت ذاته ، لم تدخل بعد فى المنظومة الاقتصادية الاشتراكية العالمية . ومن هنا يمكن النظر الى التطور المعاصر لبلدان آسيا وافريقيا فى طريق التطور اللارأسمالى على أنه ظاهرة جديدة نوعيا .

ان طريق التطور اللاراسمالى مرحلة فى تطور

15–1069

البلدان ذات العلاقات ما قبل الرأسمالية أو العلاقات الرأسمالية غير الناضجة ، تبنى اثناءها المقدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية ، الضرورية لانتصار الثورة الاشتراكية ولاقامة دكتاتورية البروليتاريا . ذلك هو جوهر طريق التطور اللارأسمالى .

ولكن توجه البلدان النامية نحو الاشتراكية لا يمكن أن يقود الى انتصار الثورة الاشتراكية الاّ عند توطيد التحالف الطبقي العالمى بين الشعوب التى تتطور بالطريق اللارأسمالى ، وبين المنظومة الاشتراكية العالمية ، شرط ان تجرى تحولات ديمقراطية وطنية متسقة داخل هذه البلدان . ففى هذا التحالف بالذات بين بلدان التوجه الاشتراكى والمنظومة الاشتراكية العالمية تتجلى القانونيات الأعم للعملية الثورية العالمية — وحدة وترابط كافة الحركات الثورية والتحررية ، وكذلك تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين وباقى الجماهير الكادحة ، فى ظل الدور القيادى للطبقة العاملة . ولا يمكن لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين أن يغدو قانونية داخلية لهذه البلدان الاّ عندما تنمو الطبقة العاملة الوطنية وتتحول الى قوة رئيسية فى المجتمع ،

مؤهلة لقيادة المجتمع الاقتصادية والسياسية والايديولوجية .

وبين أهم القانونيات السياسية لطريق التطور اللارأسمالى يأتى تشكيل دولة ، تكون قادرة على تحقيق اهداف ومهام التوجه الاشتراكى . فان دور العوامل السياسية فى هذه البلدان كبير للغاية ، فالتوجه نحو البناء الاشتراكى لا يمكن أن يكون عملية عفوية .

وتبين تجربة تطور بلدان التوجه الاشتراكى أن اساسها السياسى يتمثل فى تحالف كافة القوى الوطنية التقدمية التى تناضل من أجل الظفر بالاستقلال الوطنى واشاعة الديمقراطية والسير المتسق فى طريق الثورة الديمقراطية ، المعادية للامبريالية وللاقطاعية . ويضم هذا التحالف الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والريف وجزءا من البرجوازية الوطنية المتوسطة (التى جردت من احتكارها للسلطة السياسية) .

وتنطوى اشاعة الديمقراطية فى ميدان السلطة السياسية على اشاعتها فى القوات المسلحة ايضا ، وعلى سن دستور جديد .

وتدل العمليات المذكورة على أن الدول الديمقراطية الوطنية تزداد تعبيرا عن مصالح الجماهير الكادحة . وهي تمثل ، من حيث جوهرها الطبقى ، دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية ، دكتاتورية الشرائح الاجتماعية الكادحة ، البروليتارية ونصف البروليتارية وغير البروليتارية . وليست هذه الدول دولا برجوازية النمط ، لأنها تناضل ضد الامبريالية نضالا حازما ، حتى وتحد من تطور الرأسمالية داخل البلاد ، وتتحالف مع المنظومة الاشتراكية العالمية . ولكنه لا يجوز ، كما رأينا ، ادراجها في دول النمط الاشتراكى ، لأنها لا تمثل بعد دكتاتورية البروليتاريا ، ولا تقوم بالتصفية التامة للعلاقات الاستغلالية ، وببناء الاشتراكية .

ان دول التوجه الاشتراكى المعاصرة هى ، بمعنى ما ، تجسيد لفكرة لينين حول دكتاتورية الشعب الكادح ، ودول ، تسبق اقامة دكتاتورية البروليتاريا فى هذه البلدان ، وتمثل مرحلة انتقالية الى الدول الاشتراكية النمط .

ولكن ليس لهذه الدول أن تحضر الانتقال الى دولة دكتاتورية البروليتاريا الا فى حال اعتمادها

المتزايد على الطبقة العاملة الوطنية والفلاحيـــن الكادحين . اما مهامها ووظائفها الرئيسية فتنبع من جوهر طريق التطور اللارأسمالي . وهي تقوم اليوم بتحولات معادية للامبريالية وللاقطاعية ، وتسير في نهج الحد التدريجي من تطور الرأسمالية داخل البلد . وتتوجه نحو تصفية كافة العلاقـــات الاستغلالية ، سواء منها الاقطاعية او الرأسمالية ، وهي التصفية التي لا يمكن أن تحققها على النحو الكامل الاّ دولة دكتاتورية البروليتاريا .

ان تجربة التطور اللارأسمالي في منغوليا وكوريا الشمالية وفيتنام ، والواقع المعاصر لبلدان التوجه الاشتراكي ، قد تطلبا اقامة طليعة ، مؤهلة لقيادة المجتمع المتسقة في طريق التوجه الاشتراكي ، أي تشكيل الاحزاب الماركسية اللينينية .

وفي بلدان التوجه الاشتراكي المتعددة الأحزاب تطرح مهمة مباشرة : اقامة وتوطيد الجبهة الوطنية التقدمية الموحدة .

ان الاحزاب الديمقراطية الثورية الحاكمـــة بهذه البلدان تذلل مقاومة القوى الرجعية الداخلية والخارجية ، لتنتهج سياسة تصفية سيطـــرة

الاحتكارات الامبريالية والزعامة القبلية والاقطاعيين والبرجوازية الرجعية ، وتعمل لتوطيد قطاع الدولة فى الاقتصاد ولتشجيع الحركة التعاونية فى الريف ولزيادة دور الجماهير الكادحة فى الحياة الاقتصادية والسياسية . وتصون هذه البلدان استقلالها من تطاول الامبريالية ، وتوسع تعاونها مع الدول الاشتراكية .

وان الطريق الذى اختارته هذه البلدان يستجيب لمصالح وتطلعات الجماهير الشعبية ، ويعكس سعيها نحو نظام اجتماعى عادل ، ويتطابق مع وجهة التطور التاريخى الرئيسية .

وقد بينت تجربة الحركة الثورية أن نجاح شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فى النضال من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى يتوقف على مدى عمق وترسخ تحالفها مع الاشتراكية العالمية ، ومدى فعالية وحدة أعمال كافة القوى الثورية فى الكفاح ضد الامبريالية .

ان تأثير المنظومة الاشتراكية العالمية على البلدان النامية والبلدان المناضلة من أجل تحررها متنوع للغاية . فهذه المنظومة تمثل الشرط الحاسم

لانجاز الثورات التحررية الوطنية ، ولاختيار شعوب البلدان النامية للتوجه الاشتراكى على طريق التطور اللارأسمالى . وهى تشكل مركز العملية الثورية العالمية ، وتكون ، فى الوقت ذاته ، المدافع الأمين والحليف الرئيسى الذى يضمن التطور المستقل للبلدان المتحررة .

ثم ان الافضليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للاشتراكية ، والجبروت العسكرى للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، تتيح للمنظومة الاشتراكية العالمية ، ومعها كافة الشعوب المحبة للسلام ، أن تناضل بنجاح من أجل السلام ، مما يوفر خير الظروف المواتية للتطور التقدمى للبلدان المتحررة وللشعوب المناضلة من أجل التحرر .

ويشكل مثال وتجربة الاشتراكية الفعلية عاملا هاما فى تأثير المنظومة الاشتراكية العالمية على حركة التحرر الوطنى . ثم ان المنظومة الاشتراكية العالمية تقدم المساعدة الدائمة (المادية التكنيكية والعلمية والمالية والثقافية والمعنوية والسياسية والعسكرية والدبلوماسية وغيرها) لكافة البلدان المتحررة ،

وخاصة للبلدان التى اختارت التوجه الاشتراكى .

وتنمو باطراد مختلف اشكال التعاون بين الاتحاد السوفييتي والبلدان النامية . فبمساعدة الاتحاد السوفييتي يجرى بناء مؤسسات كاملة فى افغانستان والجزائر والعراق وليبيا ونيجيريا وغيرها . وثمة مشاريع ، تبنى على اساس التعويض ، بمعنى أن البلد المعنى يدفع نفقات المؤسسات السوفييتية التى بنت هذه المشاريع من منتجات هـــذه المشاريع ، وقد عقدت اتفاقيات من هذا النوع بين الاتحاد السوفييتي وافغانستان والجزائر ومصر والهند والباكستان والعراق وسورية وغينيا والكونغو ومراكش وبلدان كثيرة غيرها . وعلى أرضية مثل هذه المشاريع يتطور ، فى احيان كثيرة ، الانتاج التعاونى .

وينبغى التنويه بأن المشاريع ، التى بنيت وتبنى بمساعدة الدول الاشتراكية ، تنتمى ، كقاعدة عامة ، الى الفروع الاساسية . وهى تساعد على تطوير قطاع الدولة ، وتنمية الصناعة الوطنية ، والنهوض بالاقتصاد والثقافة فى البلدان النامية . ومن ذلك أنه بمساعدة الاتحاد السوفييتي وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى بنيت فى البلدان النامية

وتبنى أو تقرر بناء ٩٦ مشروعا من مشاريع الميتالورجيا الحديدية وغير الحديدية . وبينها تأتى المجمعات الميتالورجية فى الهند وتركيا وايران والباكستان ، ومجمع استخراج البوكسيت فى غينيا ، والمصنع الميتالورجى الضخم فى نيجيريا ، الذى تصل استطاعته السنوية الى ١,٣ مليون طن من الفولاذ

ثم أن الاتحاد السوفييتى ، اذ يأخذ بعين الاعتبار حدة المشكلة الغذائية فى اغلبية البلدان الفتية ، يعمل لتوطيد القاعدة الزراعية بهذه البلدان ، وببنــاء مشاريــع فى مجالات الــرى واستصلاح الاراضى ، وانشاء مؤسسات حكومية ضخمة زراعية وحيوانية ، وبناء صوامع الحبوب والمستودعات ، وغيرها .

وان دعم الاسرة الاشتراكية لجهود البلدان النامية لاعادة بناء العلاقات الاقتصادية الدولية يتسم بطابع مبدئى ، بعيد الأمد ، ولا يقوم على اعتبارات تكتيكية مؤقتة . انه تعاون ، يتطور بروح التكافؤ التام والاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية .

وينبغى التنويه بأن المساعدة الاقتصـــادية

والتكنيكية ، التى تقدمها البلدان الاشتراكية للدول النامية ، تتسم اليوم بعدد من الميزات : انها تساعد على تطور قطاع الدولة على اساس تخطيطى ، وتستند عموما على اتفاقيات حكومية طويلة الأجل ، ولها وجهة انتاجية ، وتساهم فى اقامة مجمعات الاقتصاد الوطنى .

فقد عقدت بلدان مجلس التعاون الاقتصادى اتفاقيات حكومية طويلة الأجل ، تشمل مختلف اشكال التعاون ، وضمنا — التجارة والمساعدة الاقتصادية والتكنيكية وغيرها ، لفترة ٥ — ١٥ سنة وأكثر ، مع ٨٠ بلدا من البلدان النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وتساعد هذه الاتفاقيات حكومات البلدان النامية فى التخطيط الشامل لوجهة الروابط الاقتصادية التجارية والعلمية — التكنيكية .

كما ويدل أيضا على النفع المتبادل لتعاون الاتحاد السوفييتى مع الدول النامية التطور الدينامى لتجارة الاتحاد السوفييتى مع هذه الدول .

والاتحاد السوفييتى يقيم علاقات تجارية مع ١٠٢ بلدا ناميا ، بما فيها ٨٧ بلدا على اساس

الاتفاقيات . وقد عقدت مع بلدان كثيرة اتفاقيات تجارية طويلة الأجل ، وبرامج للتعاون الاقتصادى التجارى .

ويشكل اعداد الكوادر الوطنية اتجاها هاما للمعونة السوفييتية . فبمساعدة الاخصائيين السوفييت تم ، خلال سنوات التعاون ، تحضير ما يقارب المليون من الكوادر العالية التخصص للبلدان النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وذلك فى اثناء بناء واستغلال المشاريع بهذه البلدان ، وفى المعاهد العلمية المقامة بمساعدة الاتحاد السوفييتى فيها ، وفى المؤسسات والمعاهد العلمية السوفييتية العليا والمتوسطة .

ان مساعدة الاتحاد السوفييتى الاقتصادية والتكنيكية لا تتوسع فحسب ، بل وتتحسن باستمرار ، فتغتنى بمضمون جديد وصيغ جديدة .

وفى صلب علاقات الاتحاد السوفييتى بالبلدان النامية تقوم سياسة الاممية البروليتارية ، التى لا تمت بصلة الى التدخل فى شئونها الداخلية . على العكس ، فأن المساعدة المقدمة من طرف البلدان الاشتراكية تساهم فى توطيد

حرية وسيادة الدول الفتية فى ميدان الاقتصاد ..، والسياسة الداخلية والخارجية ، ودرء تدخل الامبريالية وعدوانها . ثم ان مبادئ الاممية تتجسد على نحو أكثر حزما وعمقا فى بلدان التوجه الاشتراكى ، التى ارتفع قادتها ، فى تطورهم الفكرى ـ السياسى ، من الاحتجاج المعادى للامبريالية الى وعى الضرورة الموضوعية للتوجه السياسى والاقتصادى والايديولوجى نحو الاشتراكية . ويمارس هذا ، بدوره ، تأثيرا ثوريا على التحويلات الاجتماعية السياسية والاقتصادية فى البلدان التى تجرى فيها الثورة الديمقراطية الوطنية .

وقد جاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى :

«ان الحزب الشيوعى السوفييتى يدعم النضال العادل لبلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ضد الامبريالية واضطهاد الاحتكارات ما فوق الوطنية ، ومن أجل ترسيخ حقها المطلق فى التصرف بثرواتها ، ومن أجل اعادة بناء العلاقات الدولية على أساس متكافئ ، ديمقراطى ، ومن أجل اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ، والتخلص من قيود الديون التى فرضتها الامبريالية .

ويقف الاتحاد السوفييتى الى جانب الدول والشعوب التى تتصدى لهجمات القوى العدوانية الامبريالية ، وتدافع عن حريتها واستقلالها وكرامتها الوطنية . وان التضامن معها هو اليوم جزء هام من النضال العام فى سبيل السلام والأمن الدولى» .

ان مهام وسبل البناء الاشتراكى ، التى تهتدى بها الثورات الديمقراطية الوطنية ، تنطوى على التذليل المتسق للتبعية للمنظومة الرأسمالية ، وفى هذا الاتجاه يصب الدعم الاممى النزيه من طرف البلدان الاشتراكية .

وبتحرر بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية من أصفاد الاستعمار والاستعمار الجديد يتزايد باطراد دورها فى رسم مصائر العالم المعاصر . فالمسؤولية عن مستقبل البشرية تتجلى بصورة واضحة فى نشاط الدول غير المنحازة ، التى تطالب بالانفراج وتعارض ضغوط الامبريالية ومكائدها العدوانية فى مختلف بقاع العالم .

وتشكل حركة عدم الانحياز صيغة عملية هامة لتوحيد البلدان النامية على ارضية العداء للامبريالية .

ولكن حركة عدم الانحياز ليست متجانسة من حيث قوامها . فمعظم البلدان المتحررة لا يزال فى تبعية اقتصادية ، حتى وسياسية احيانا ، للامبريالية ، ويبقى فى اطار المنظومة الاقتصادية الرأسمالية العالمية . وفى الوقت ذاته تشارك فى حركة عدم الانحياز بلدان مثل كوبا وفيتنام ولاوس وبلدان اشتراكية أخرى ، وكذلك البلدان التى سلكت سبيل التوجه الاشتراكى . وهذه الدول تذود ، بحزم وصلابة ، عن مبادئ عدم الانحياز .

ان البلدان الاشتراكية والبلدان غير المنحازة تجمعها المصلحة المشتركة فى مجابهة المكائد العدوانية الامبريالية ، وتشغل مواقع واحدة أو متقاربة فيما يخص مشكلات العصر الجذرية . وهى واحدة فى ادراك أنه ليس ثمة الآن مهمة أجل من درء خطر الحرب النووية ، ووقف سباق التسلح . وتبين الحياة أن بوسع جبهة تضامن الدول الاشتراكية وغير المنحازة أن تتصدى بفعالية للنهج العدوانى الامبريالى ولسياسة الهيمنة الشاملة .

الخاتمة

ان العملية الثورية العالمية تزداد قوة ، وتمضى واثقة الخطى للقاء العواصف الثورية الجديدة . وتمثل المنظومة الاشتراكية العالمية والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى القوى الثورية الاساسية فى عصرنا . وتشكل وحدة قوى العصر الثورية ضمانة نجاح القضية الجليلة ، قضية السلام والتقدم والاشتراكية .

وفى مركز قوى العصر الثورية تقوم الطبقة العاملة ووليدتها ، نتاج نضالها المديد وعملها الدؤوب — المنظومة الاشتراكية العالمية ، التى تتحول باطراد الى عامل

حاسم في التاريخ العالمي .

ولم تتحقق التكهنات ، التي تتنبأ بانحسار الحركة الثورية العالمية ، وتمتدح الرأسمالية المعاصرة ، التي تزعم أنها في اطار المجتمع الصناعي وما بعد الصناعي ، وبمساعدة التقدم العلمي التكنيكي ، ستزيل كافة التناقضات الحادة في الحياة الاجتماعية ، واهمها — التناقض بين العمل والرأسمال .

ولكن من المتعذر عدم رؤية هذه التناقضات في المرحلة الحالية من التطور . وهي تحتدم وتتزايد . وتتعزز القناعة بأن هذه التناقضات لا تحل الا عبر الثورة .

ان العالم المعاصر عالم معقد ومتنوع ودينامي ، ومفعم بالنزعات المتقابلة والمتصارعة ، ومليء بالتناقضات . انه عالم البدائل المعقدة ، عالم القلق والأمل . ولم يعرف كوكبنا ، فيما مضى ، مثل هذا الحمل السياسي والفيزيائي الثقيل . ولم يقم الانسان ، طوال تاريخه السالف كله ، بجباية مثل هذا القدر من الأتاوى من الطبيعة ، ولم يكن ، في أي وقت مضى ،

فى المطعن الذى وجد نفسه فيه اليوم فى مجابهة القوة الجبارة التى صنعها بيديه .

وفى مجرى التحوير الثورى للعالم نهضت أيضا المشكلات الكوكبية ، التى يتعذر حلها الا عبر ازاحة العوائق التى وضعتها الامبريالية على طريق البشرية .

ان المشكلات الكوكبية تهم العالم كله ، وتمس بمصالح البشرية قاطبة ، اى بمصالح كافة البلدان ، بغض النظر عن مساحتها وتعداد سكانها ومستوى تطورها الاقتصادى الاجتماعى وطابع نظامها الاجتماعى . وبين هذه المشكلات البالغة الحيوية ، التى يتوقف على حلها مستقبل التقدم الاجتماعى فى العصر الحاضر ، تأتى : درء خطر الحرب النووية العالمية وضمان الشروط السلمية لتطور كافة الشعوب ؛ تذليل ما خلفه الاستعمار من تأخر اقتصادى فى بلدان آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية ؛ وقف النمو الجامح للسكان («الانفجار السكانى») فى البلدان النامية ؛ الحيلولة دون كارثة تلوث البيئة المحيطة ؛ تأمين التطور اللاحق للبشرية بالموارد الطبيعية الضرورية ،

بما فيها المواد الغذائية والخامات الصناعية ومصادر الطاقة ، وغيرها . . . .

وان هذه المشكلات الكوكبية كلها تمس بالمصالح الحيوية للبلدان النامية بصورة حادة ، حتى ومؤلمة أحيانا . ثم ان العالم النامى ، المأخوذ ككل ، يمثل احدى اهم المشكـــلات التى يتطلب حلها تذليل الهوة المتزايدة بين الوضع الاقتصادى ومتوسط دخل الفرد فى البلدان المتطورة والنامية ، وذلك عبر تصفية تخلف البلدان النامية والقضاء على الجوع والبؤس والأمية ، ورفع مستوى سكانها الحياتى والثقافى .

وثمة سبل وامكانيات مختلفة لحل هذه المشكلات . ومن هذه المشكلات ما يجب حله فورا ، ذلك أن خطر الدمار يتهدد البشرية جمعاء . ومنها ما يتطلب ردحا طويلا من الزمن . ولكن أيا كانت الأحوال لا يمكن تأمين الظروف المواتية لحل هذه المشكلات حلا كاملا الا بالازاحة الثورية للقوى الامبريالية .

ومن هنا تأتى الضرورة الملحة فى تسليح الجماهير بفهم مسائل الثورة ، وفى الكشف

عن القوانين التى تحدد المنعطفات الحاسمة في مسيرة التاريخ .

وان النظرية الماركسية اللينينية ، اذ تفسر قوانين الثورة ، انما تساعد على تعبئة القوى وحشدها لحل مهام العصر الثورية .

معجم مختصر بالمصطلحات الاساسية

الارتقاء (Evolution) — مصطلح ، يدل بالمعنى الواسع للكلمة ، على تصور عن التغيرات في المجتمع والطبيعة ، وجهتها وترتيبها وقانونياتها ؛ حالة معينة لمنظومة ما ، ينظر اليها على أنها حصيلة تغيرات لحالتها السابقة ، مديدة الى هذا الحد أو ذاك ؛ أما بالمعنى الضيق للكلمة فيدل المصطلح على التصور عن التغيرات الكمية البطيئة والتدريجية ، وذلك خلافا للثورة .

اسلوب الانتاج — اسلوب تاريخي معين في تحصيل الخيرات المادية ؛ وحدة القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . وهو اساس التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية . ويتم استبدال اسلوب انتاج بآخر عبر الثورة .

الاشتراكية — الطور الاول ، او الادنى ، من الشيوعية .

وهى النظام الاجتماعى الذى يظهر بنتيجة الثورة الاشتراكية . والاشتراكية تلغى الملكية الخاصة لوسائل الانتاج واستغلال الانسان للانسان ، وتصفى الازمات الاقتصادية والبطالة ، وتفتح آفاقا واسعة لتطور القوى المنتجة المنهاجى المستمر السريع ولتحسين العلاقات الانتاجية . والقاعدة المادية للاشتراكية هى الانتاج الآلى الضخم . اما هدف الانتاج الاجتماعى فى ظلها فهو زيادة رفاه الشعب والتطوير الشامل لكل عضو فى المجتمع . ومبدأ الاشتراكية هو : «من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله» .

الاصلاح — تحوير أو تغيير لجانب من الحياة الاجتماعية (الانظمة ، المؤسسات) ، لا يقضى على اسس البنية الاجتماعية القائمة ؛ ومن الناحية الصورية — استحداث أى مضمون ، ولكن «الاصلاح» يطلق عادة على تغيير تقدمى الى هذا الحد أو ذاك .

الاصلاحية — تيار سياسى فى الحركة العمالية ، ينكر ضرورة الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا ، وينادى بتعاون الطبقات ، ويعول على الاصلاحات فى اطار الشرعية البرجوازية سبيلا لتحويل الرأسمالية الى مجتمع «الازدهار العام» والعدالة الاجتماعية .

الامبريالية — الرأسمالية الاحتكارية ، اعلى وآخر مراحل الرأسمالية ، عشية الثورة الاشتراكية .

الانتفاضة المسلحة — تحرك مسلح لفئات أو طبقات اجتماعية ضد السلطة السياسية القائمة . والانتفاضة المسلحة احدى أهم ادوات ظفر الطبقة العاملة بالسلطة حينما تستنفد السبل السلمية وتلجأ الطبقات الرجعية الى العنف .

الانتهازية — هى ، فى الحركة العمالية ، نظرية وممارسة تتناقضان مع المصالح الفعلية للبروليتاريا ، وتدفعان بالحركة العمالية الى طريق التعاون الطبقى مع البرجوازية . والانتهازية ، بطبيعتها الطبقية ، تجل للايديولوجية والسياسة البرجوازية الصغيرة ، وتمثل ، من الناحية النظرية ، لونا من التحريفية حينا ، ومن الدوغمائية ، حينا آخر .

التحريفية — اعادة النظر اللاعلمية فى موضوعات الماركسية اللينينية ؛ اتجاه انتهازى داخل الحركة الثورية . ويميز عادة بين التحريفية اليمينية ، التى تسبدل الموضوعات الماركسية بالآراء التحريفية البرجوازية ، وبين التحريفية «اليسارية» ، التى تستبدلها بالتوجهات الفوضوية والمغامرة .

التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية — المجتمع فى درجة

معينة من تطوره التاريخى ، نمط تاريخى معين من المجتمع . وتغطى مقولة «التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية» كافة جوانب الحياة الاجتماعية فى ترابطها العضوى . وفى صلب أية تشكيلة اقتصادية اجتماعية يقوم اسلوب انتاج معين ، أما العلاقات الانتاجية فتمثل جوهر التشكيلة . كما وتشمل التشكيلة البناء الفوقى الموافق لها ، وما يلائمها من نمط الاسرة والحياة اليومية وغيرها .

الثورة الاجتماعية — اسلوب الانتقال من التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية البالية العهد الى تشكيلة أكثر تقدما ؛ انقلاب جذرى فى مجمل بنية المجتمع الاقتصادية الاجتماعية .

الثورة الاشتراكية — الثورة البروليتارية ، أرفع أنماط الثورة الاجتماعية ؛ تقوم بالانتقال من التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الرأسمالية الى التشكيلة الشيوعية .

الثورة البرجوازية — الثورة التى تهدف الى تهديم النظام الاقطاعى ومخلفاته ، والى اقامة سلطة البرجوازية ، مما يوفر الظروف للتطور الرأسمالى ؛ أما فى البلدان التابعة والمستعمرة فترمى أيضا الى الظفر بالاستقلال الوطنى .

ثورة التحرر الوطنى — الثورة النابعة من حركة التحرر الوطنى ، والرامية الى القضاء على السيطرة الاجنبية

والظفر بالاستقلال الوطنى ، الى تصفية الاضطهاد القومى الاستعمارى والاستغلال الاجنبى ، وتحقيق الامة لحقها فى تقرير المصير واقامة الدولة الوطنية .

الثورة الديمقراطية الشعبية — ثورة ديمقراطية ، معادية للامبريالية وللاقطاعية ، قامت فى ظرف الحرب العالمية الثانية وبعدها فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا ، وشكلت مقدمة للتحولات الاشتراكية فى هذه البلدان .

الثورة الثقافية — انقلاب جذرى فى تطور البلاد الروحى ، وجزء هام من التحولات الاشتراكية . وهى تنطوى على اقامة المنظومة الاشتراكية من التعليم والتثقيف العام ؛ واعادة تربية الانتلجنسيا البرجوازية وتنشئة انتلجنسيا جديدة ؛ والتخلص من تأثير الايديولوجية القديمة وترسيخ الايديولوجية الماركسية اللينينية ؛ وبناء صرح الثقافة الاشتراكية ، وتغيير ظروف الحياة .

الثورة المضادة — صراع الطبقة ، التى خلعتها الثورة أو تقوم بخلعها ، وهو الصراع الذى يرمى الى العودة الى النظام الاجتماعى ونظام الدولة البالبين ، أو الحفاظ عليهما .

الحالة الثورية — الوضع الذى يشكل مؤشرا على نضج الظروف الاجتماعية السياسية المواتية للثورة .

دكتاتورية البروليتاريا ــ سلطة الطبقة العاملة ، التى تقام بنتيجة الثورة الاشتراكية وترمى الى بناء الاشتراكية والانتقال بالمجتمع الى بناء الشيوعية . والمبدأ الأعلى لدكتاتورية البروليتاريا هو تأمين القيادة فى المجتمع والدولة للطبقة العاملة ، المتحالفة مع الفلاحين والقوى الديمقراطية الأخرى .

الدولة ــ الاداة الاساسية للسلطة السياسية فى المجتمع الطبقى . ظهرت بنتيجة التقسيم الاجتماعى للعمل ونشوء الملكية الخاصة وتشكل الطبقات المتناحرة .

دولة الشعب كله ــ شكل الدولة الاشتراكية ، التنظيم السياسى للشعب كله فى ظل الدور القيادى للطبقة العاملة .

الديمقراطية الشعبية ــ شكل للتنظيم السياسى للمجتمع ، أقيم فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا بنتيجة الثورات الشعبية فى الاربعينات من القرن العشرين ، وتحول ــ فى مجرى تنامى الثورة الديمقراطية الشعبية الــــى ثورة اشتراكية ــ الى شكل لدكتاتورية البروليتاريا .

الصراع الطبقى ــ صراع بين الطبقات ، التى لا تتوافق مصالحها أو تتعارض ؛ وهو المضمون الأساسى والقوة المحركة لتاريخ كافة المجتمعات التناحرية (العبودى والاقطاعى والرأسمالى) .

الطبقات الاجتماعية ــ جماعات كبيرة من الناس ، تتفاوت فيما بينها بمكانتها فى منظومة تاريخية معينة من الانتاج الاجتماعى ، ولا سيما بعلاقتها بوسائل الانتاج ، وبدورها فى التنظيم الاجتماعى للعمل ، وبالتالى ــ بوسائل حصولها وكمية ما تحصل عليه من حصة من الثروة العامة التى بحوزتها .

الطبقة العاملة ــ احدى الطبقات الاساسية فى المجتمع المعاصر ، والقوة المحركة الرئيسية للعملية التاريخية اثناء الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وفى ظل الرأسمالية تتمثل الطبقة العاملة (البروليتاريا) فى العمال المأجورين المحرومين من وسائل العمل ، والذين يعيشون من بيع قوة عملهم ، ويتعرضون لاستغلال الرأسمال .

العلاقات الانتاجية (علاقات الانتاج) ــ جملة العلاقات المادية ، الاقتصادية ، التى تنشأ بين الناس فى اثناء الانتاج الاجتماعى للمنتوج الاجتماعى وحركته من الانتاج الى الاستهلاك ؛ وهى تعبر عن علاقات الملكية ، التى تشترط توزع وسائل الانتاج ، وكذلك توزع الناس ، فى الانتاج الاجتماعى (اى تعبر عن بنية المجتمع الطبقية) .

العملية الثورية العالمية ــ حركات العصر الثورية فى وحدتها ، مأخوذة معا . اما عناصرها فهى الثورات

الاشتراكية ، وثورات التحرر الوطنى ، والثورات المعادية للاستعمار وللامبريالية ، والثورات الديمقراطية الشعبية المعادية للاقطاعية . والعملية الثورية العالمية ، التى تتمتع فى نهاية المطاف بوجهة معادية للرأسمالية ، سمة مميزة لعصرنا .

القوى المنتجة — منظومة العناصر الذاتية (الانسان) والمادية (وسائل الانتاج) ، التى تعبر عن علاقة الناس الفعالة بالطبيعة ، وتتمثل فى عملية الاستيعاب المادى والروحى للطبيعة وتطوير ثرواتها ، وهى العملية التى يجرى اثناءها اعادة انتاج ظروف وجود الانسان ويحدث تطوره .

الماركسية اللينينية — منظومة علمية من الآراء الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية تشكل عقيدة الطبقة العاملة ؛ وعلم معرفة العالم وتحويره الثورى ، علم قوانين تطور المجتمع والطبيعة والفكر البشرى ، وقوانين النضال الثورى للطبقة العاملة ، والكادحين عامة ، من أجل الاطاحة بالرأسمالية وبناء المجتمع الاشتراكى فالشيوعى .

وسائل الانتاج — جملة ادوات العمل ومواضيعه التى يستخدمها البشر فى انتاج الخيرات المادية .

الفهرس

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب ، وترجمته ، وشكل عرضه ، وطباعته واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧
موسكو — الاتحاد السوفييتي

دار التقدم

ستصدر

كاشين ، تشيركاسوف . ما هى المرحلة الانتقالية ؟ («مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية»)

١١×١٧ سم ، غلاف ، ٣٥٠ ص .

الربع الثالث

ما هى قوانين نشوء الاشتراكية ؟ ما هى الانماط الاقتصادية الاساسية والطبقات التى تمثلها فى المرحلة الانتقالية ؟ لماذا لا يمكن ان تكون الدولة فى تلك المرحلة الا دولة لديكتاتورية البروليتاريا ؟ بأية اشكال تتجلى السنن العامة للانتقال من الرأسمالية

الى الاشتراكية فى البلدان التى تسلك طريق التطور المستقل ؟

عن هذه الاسئلة يجيب مؤلفا الكتاب بأسلوب شيق وواضح .

الكتاب معد لجمهرة واسعة من القراء .



تضم سلسلة «مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية» الكتب التالية :

١ — منتخبات في العلوم الاجتماعية
٢ — ما هي الماركسية — اللينينية ؟
٣ — ما هو الاقتصاد السياسي ؟
٤ — ما هي الفلسفة ؟
٥ — ما هي الشيوعية العلمية ؟
٦ — ما هي المادية الديالكتيكية ؟
٧ — ما هي المادية التاريخية ؟
٨ — ما هي الرأسمالية ؟
٩ — ما هي الاشتراكية ؟
١٠ — ما هي الشيوعية ؟
١١ — ما هو العمل ؟
١٢ — ما هي القيمة الزائدة ؟
١٣ — ما هي الملكية ؟
١٤ — ما هي الطبقات وما هو الصراع الط
١٥ — ما هو الحزب ؟
١٦ — ما هي الدولة ؟
١٧ — ما هي الثورة ؟
١٨ — ما هي المرحلة الانتقالية ؟
١٩ — ما هي سلطة الشعبية ؟
٢٠ — ما هي المنظومة الاشتراكية العا
٢١ — ما هي النقابات ؟
٢٢ — ما هي الثورة العلمية التكنيكية ؟
٢٣ — ما هي الشخصية ؟
٢٤ — ما هو . . . ؟ معجم .

ISBN 5-01-000725-8